طريق الشعب

من زمن التوهج

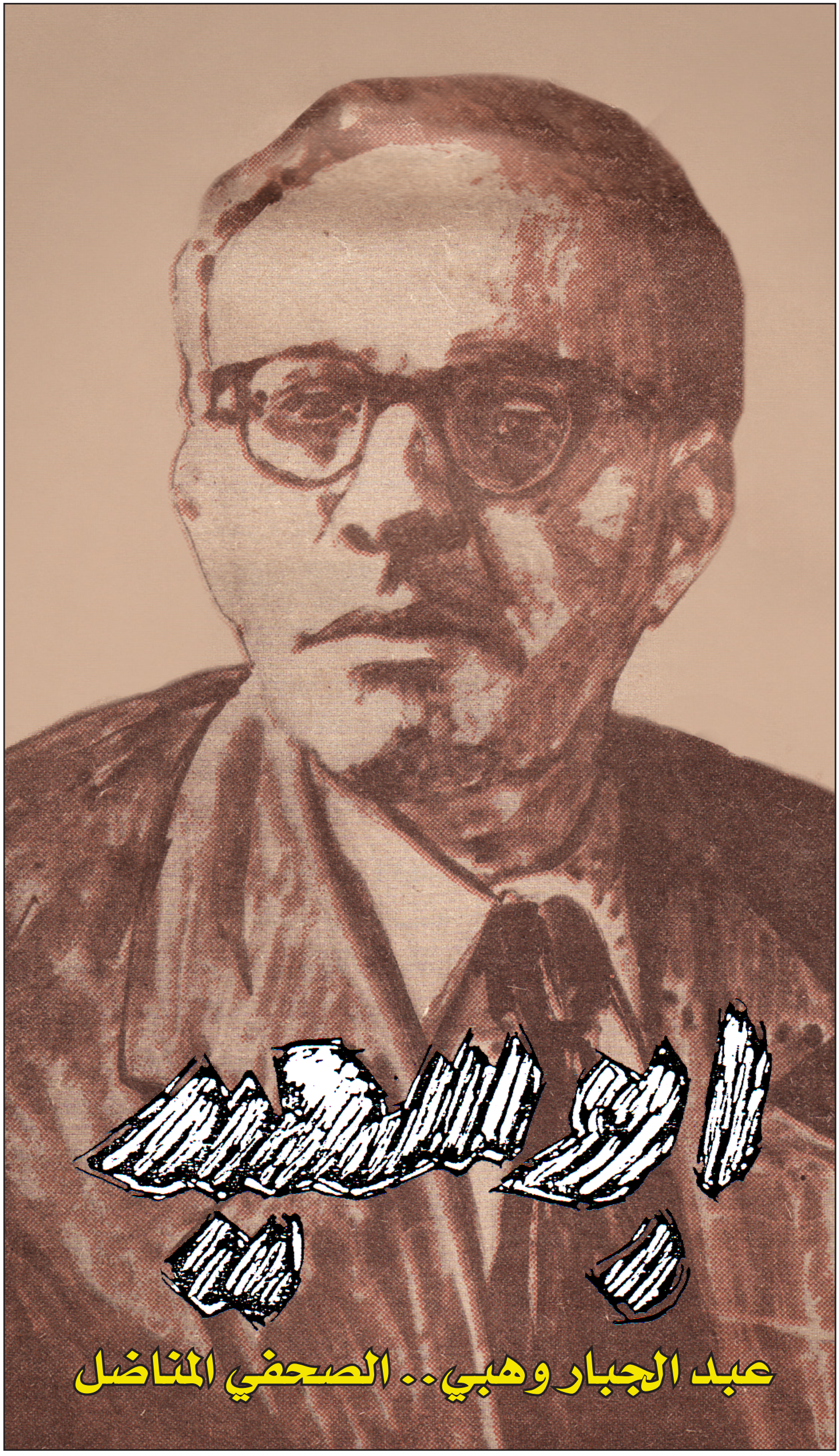

عبد الجبار وهبي.. الصحفي المناضل

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1733) السنة السابعة

الخميس (25) شباط 2010

ابو سعيد الصحفي المناضل

2

أبو سعيد بين بيروت والشام

8

العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

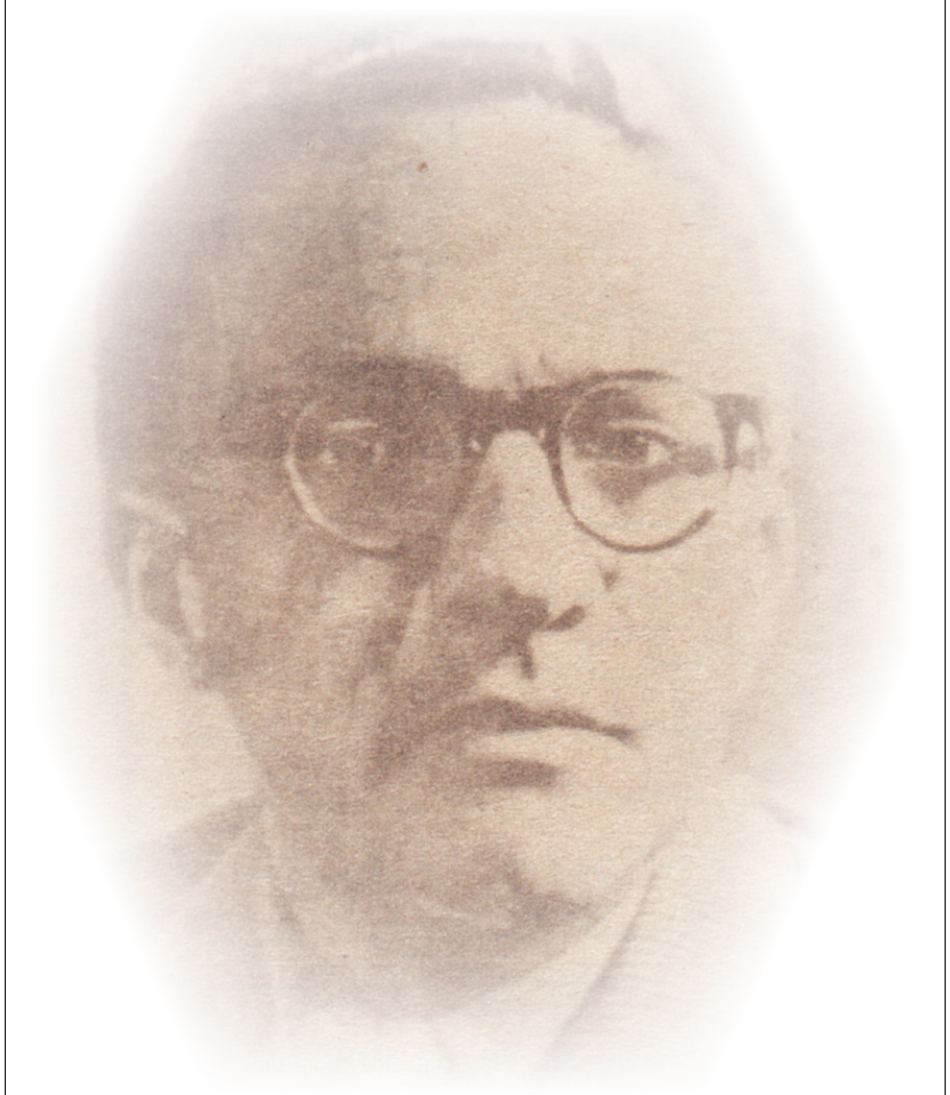

ابو سعيد الصحفي المناضل

رحلة النضال من القاعدة حتى الاستشهاد

يصفه رفاقه بأنه كان قصير القامة، ولكنهم لايكتفون بهذا الصوف، وانما يشيرون الى ان كل من سمع بـ (ابو سعيد) ولم يره، يظنه عملاقا ضخم الجثة، مهيب الشكل ولم تكن شرطة نوري السعيد بمنجى من هذا الظن، ولكنه كان عملاقا حقا عملاقا في حياته وفي استشهاده.

ولاشك ان محبيه سمعوا به ولم يروه قد دهشوا حين وجدوه امامهم، قصير القامة مربوع الجسم. ولكن ما ان يبدأ بالحديث حتى ترتسم امامهم صورة، هي اكبر من تلك التي تصوروها ولاشك انهم يتفقون مع الرفيق كريم احمد (عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي) حين يصفه قائلاً:

-لقد كان عملاقا.. قصير القامة:

هل رأيتم رجلا تغزل بحبيبته مثلما تغزل ابو سعيد بـ (الغزيلة) ؟.. لقد كان "ابو سعيد" يفعل هكذا سمى ماكنة الطباعة التي كانت تطبع بها "القاعدة" الغزيلة، وكان حريصا عليها ويعرف اجزاءها قطعة قطعة، وكثيرا ما كان يشكو من صوتها.. ولكنه كان يعالجها باستمرار، فهي امانة الحزب لديه ولقد شهده شارع الشيخ عمر اكثر من مرة متجولا في المحلات والورش بحثا عن احد الثقاة او الاصدقاء لاصلاح قطعة صغيرة من الحديد خبأها بعناية.

ويروي عنه احد اتى اليه مرة حاملا "دشلي" مثلوم، وطلب اصلاحه، وكان هذا العامل يعرف "ابو سعيد" جيدا، ويعرف شكواه من صوت المطبعة فقال له مداعبا، -سأصنع لك "دشلي" من الفايبر .. "دشلي" صامت!!

ابو سعيد .. هجر متع الحياة اليومية واستبدلها باصعب واحلى المتع ..فأستاذ الفيزياء هجر في لحظة ما ..مهمة التدريس في كلية الملك فيصل وهجر رداء (الافندية) واستبدله بالجراوية والعقال والدشداشة ترك منتديات الاحاديث المسالمة ترك دفء العائلة وبسهولة الوصول الى اماكنه الحبيبة بوسائط النقل العديدة، واكتفى بـ (البايسكل) وبلفح النسمات الباردة، هجر الموسيقى التي كان يعشقها، وهجر كل ما كان قادرا على الحصول عليه، ولم يكن هذا القرار نتيجة لحظة عابرة. بل امتداداً لوعي بدأ بالتفجر عند "ابو سعيد" في وقت مبكر، ولقد جرب النضال بكل اشكاله، فحين كان في حزب الشعب، كان من المساهمين النشطين في مجاله، ولكن بعد وثبة كانون انخرط في صفوف الحزب الشيوعي، وكانت تلك فترة تحول كبيرة في حياة المناضل عبد الجبار وهبي.

(كلمة اليوم) كانت علامة بارزة في جريدة (اتحاد الشعب) هذا ما كان يتفق عليه الجميع مثلما كانوا يتفقون على ان الكثير من قراء "اتحاد الشعب" يبدأون بقراءة الجريدة من الصفحة الثانية حيث مكان كلمة (ابو سعيد) ويتفق الجميع ايضا على حرص الرجعيين على شراء اتحاد الشعب وقراءة "كلمة اليوم" فلقد كانت "كلمة اليوم" كلمة مميزة.. ولربما لم يتساءل احد حينها، كيف كان (ابو سعيد) يكتب كلمته، واين كان يكتبها؟ ذاكرة رفاقه تجيبنا بأنه كان متميزاً حتى في طريقة الكتابة.

يروي احد عمال شارع الشيخ عمر، ان (ابو سعيد) كان يأتي في احيان كثيرة الى محلهن ويجلس بين العمال يراقب حركتهم، ويستمع لاحاديثهم والمفردات التي يستخدمونها، ويستمع ايضا لهمومهم وتقييماتهم للوضع السياسي ولوضع (السوق).. وفجأة كان يخرج قلمه ويبدأ بالكتابة ثم ينهض مودعا. وفي اليوم التالي يفاجأ العمال بمفرداتهم وببعض ما قالوه مكتوبا في (كلمة اليوم).

ويروي الشاعر رشدي العامل -الذي زامله في اتحاد الشعب - انهم كانوا في الجريدة يترقبون وقع اقدامه لانه حين كان يصل ، يملأ مبنى (اتحاد الشعب) بالاسئلة والمداعبات والحركة و.. الحياة التي لم تكن تنقص الرفاق الاخرين الا انه كان مميزا ، كان يتكلم ويداعب و.. (يحرك الجو) الى الحد الذي يأتي فيه الرفيق الشهيد عدنان البراك أو الرفيق الشهيد عبد الرحيم شريف طالبين منه ان يهدأ قليلا، ولكن الهدوء كان يتسلل الى الجريدة في اللحظة التي يغادر فيها (ابو سعيد) الى غرفته فجأة ليكتب -كلمة اليوم - وما ان ينتهي منها حتى تحل محل الهدوء (كركرات) "ابو سعيد" الجذلى ، ويستمر رشدي العامل في سرد الذكريات ويتوقف عند الايام الصعبة.. يوم كان الجميع بانتظار قرار الحكم الذي سيصدر من المجلس العسكري العرفي، وكان (ابو سعيد) جالسا، وحين رن جرس الهاتف رفعه الرفيق الشهيد عدنان البراك ثم استمع قليلا و...اغلق السماعة بوجوم وعرف الجميع ان المجلس العسكري العرفي قد اصدر حكمه بغلق (اتحاد الشعب) فران صمت حزين على الجميع، ولكن ضحكة "ابو سعيد" خرقته بمرح قائلاً:

-هيه .! وداعا ايها التعب، ياالله يا جماعة.. انهضوا..! فأستوقفه الرفيق البراك قائلاً:

-الى اين؟ لقد اغلقت الجريدة حقا. ولكن العمل مستمر، فغدا ستصدر جريدة "صوت الشعب".

وكانت (صوت الشعب) جريدة حصل الحزب على امتيازها باسم الرفيق الشهيد محمد حسين ابو العيس تحوطا لقرار المجلس العرفي.

لم يغادر ابو سعيد يوما مرحه الا الى موقع الهدوء والنقاش المتفرد، فلقد كان صعبا ان يشهد المرء ملامح الحزن على وجهه ، اللهم الا في اللحظات التي كان يسمع فيها باعتقال احد الرفاق، فقد كان يحزن بشدة ويتذكر الرفيق كريم احمد انه كان يقول له:

-لست حزينا فقط لاعتقال الرفيق، ولكن علينا ايضا ان نتحمل عبء مسؤولياته الى ان نجد من يحل محله.

ومع هذا فقد كان "ابو سعيد" منذورا للفرح وللحياة وقد وجدهما في النضال، وانظروا اية متعة تلك التي كان يجدها حتى في المخاطرة وفي خداع الشرطة الملكية..

في احدى المرات عرف "ابو سعيد" احد البيوت الحزبية كان مراقبا، ولم يكن اياً من الرفاق الذين في البيت على معرفة بالامر.

وفوجئ الجميع بطرق على الباب.. ثم فوجئوا برجل قصير يلبس (الجراوية والدشداشة) ثم..ادخل دراجته الهوائية التي لم تكن تفارقه الانادرا وابغلهم بان البيت مراقب مراقبة شديدة فسأله الرفيق كريم احمد-وكان من ضمن الموجودين:

-لماذا أتيت اذن؟ هل سيلقى القبض عليك انت ايضا؟

الم يكن بأمكانك تبليغنا بطريقة اخرى؟.. يجب ان تهرب الان.. ونحن سنتدبر امرنا، وأصر "ابو سعيد" على البقاء حتى يطمئن على مصير الرفاق الا ان الوقت لم يكن وقت عواطف، فقال له الرفيق كريم احمد: -يجب ان تهرب الان؟ وهذا امر حزبي!

عند هذا الحد، وقف "ابو سعيد" وأدى التحية "العسكرية" ثم استدار الى الخارج.. حتى في تلك اللحظات لم يكن يفقد مرحه

حكاية اخرى

كان الحزب قد وزع منشورا لم يكن "ابو سعيد" يعرف بأمره وكانت الشرطة منتشرة في عدد من الاماكن للقبض على الشيوعيين ومن تشتبه بهم.. ودخل "ابو سعيد" الى احدى هذه المناطق فامسكه الشرطة فتجمع سكان المحلة، وما هي الا لحظات حتى كان سكان المحلة يرشقون الشرطة بالحجارة ، وكان "ابو سعيد" حينها يواصل سيره بهدوء واطمئنان ، فلقد لعبت كلماته فعلها.

هل كان مجموعة من الحكايات؟

هل يمكن ان يتحول اليوم الى ذكرى؟لا احد يريد ان يقول هذا.. (فالافندي) الذي عرف الترف يوما ، والمثقف الذي (قلص) قليلا من اهتمامه في الترجمة والصحافة، وجد امامه حياة ممتلئة بالجهد والمطاردة ولكنه كان يطمئن اليها اكثر من سواها ففيها، تعرف على الكثير، كتب يقول: (في اتحاد الشعب عام ١٩٥٩).

"كنت في بيتي، اعيش العزلة والتفاهة، وامضغ بأسى عميق ، مرارة الاحداث..فقد انتزع العدو مكاسب وثبة كانون، وضاعت صيحة الحق في ضجيج الخونة الذين زعموا انهم حماة فلسطين الشهيدة ، واختفت من الشوارع وجوه الاصدقاء من بعضهم الى السجن وبعض حيث لا ادري ولم اكن شيوعيا وقتئذ.." ثم يواصل:

"هذا الموقف الذي دلني عليه دم يوسف وزكي وحسين كان في نطاق حياتي الخاصة اكتشافا عجزت الكتب التي درستها وطالعتها عن ان توصلني اليه..

شكرا للامهات اللواتي وهبن وطننا اولادا شجعانا اضاءوا طريق الغد.."

ومن اكتشف طريق "ابو سعيد" سيجد ان من الصعوبة الحياد عنه. وهكذا فعل "ابو سعيد" وهب نفسه للحزب، وكان باستشهاده في تموز عام ١٩٦٣ يفعل نفس الشيء الذي فعله في حياته، الاخلاص لقضية الحزب، والشعب، ..و ..لم يمت "ابو سعيد".

هل نحدثكم اخيرا عن حياته في سوريا وبيروت؟ وهل نحدثكم عن الكتب التي ترجمها أو التي الفها واصدرها بتواقيع مستعارة؟ هل نحدثكم عن الرجل الذي كان ماهرا في (تزوير) جوازات السفر في سوريا لرفاقه المبعدين السياسيين؟

نترك الحديث لرفاق عاشوا معه، وعرفوا فيه رجلا لم تكن تفوته قصيدة او رواية او كاتب سياسي.. رجلا لم يفارقه عشق الحياة، تماما مثلما (عشقت) شرطة الحكم الملكي مطاردته، رجلا ومناضلا عشق (الشيوعية) من اجل رفاه شعبه ورفاه البشرية.

عامر بدر حسون
جريدة الفكر الجديد
١٩٧٨/٥/٢٧

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

وجهة نظر نحتاجها

محمود عبد الوهاب

كان "أبو سعيد" صاحب مقالة مؤثرة في زمنه، وكنا ننتظرها ونقرأها بمتابعة جادة وتواصل دائم، كونه يعبر عن الحال آنذاك بشكل صادق، وكان يقدم وجهة نظر نحن بحاجة إليها. كتاباته كانت تعبر عن الواقع و تحاول أن تعطي نوعا من المقترحات أو الحلول أحيانا، وفيها سخرية حادة، حيث كان يأتي بالأمثال و الحكايات الشعبية، كما كان أسلوبه من الناحية اللغوية سليما ومركزا وذا مهارة .

و تميّز عن بقية كتاب الأعمدة بنقله الواقع بإخلاص ولكن مع مفارقاته وسخريته ، وكان لجريدة "اتحاد الشعب" دور في تميزه، إذ كان الكثير من القراء في تلك الحقبة يتابعونها، و يتواصلون معها، لذلك كان كتابها يحظون باهتمام و اعتزاز.

جدير أن أذكر بأني قد زرته عدة مرات في بيته ، وبصحبة حسين مردان ورشدي العامل ونزار عباس،ومرة جاءنا إلى البصرة ضيفا على نقابة المعلمين ، وقد أشاد بعمود صحفي كنت أحرره لجريدة الحزب البصرية "صوت الطليعة" عامي ١٩٦٠.١٩٥٩

أبو سعيد . . .ملح الغذاء المعرفي

هادي الطائي

ان الحديث عن "ابو سعيد" طويل وعريض وشيق، ومهما تحدثنا لا نستطيع الوصول الى ما نريده، كون الذي يتحدث عن "ابو سعيد" يجب ان يمتلك بيانه وبلاغته حتى يصدق في شخصيته الثقافية و الوطنية والنضالية.

كانت جريدة "اتحاد الشعب" تصدر و توزع بشكل سري، لكن بعد ثورة ١٤ تموز واطلاق الحريات للصحافة صدرت علانية وكان من كتابها الأساسيين المناضل عبد الجبار وهبي وهو يكتب عمودا بعنوان "كلمة اليوم" في الصفحة الثامنة، ومعه كان الكثير من المناضلين يكتبون في الجريدة ومنهم محمد حسين ابو العيس وعامر عبد الله وعبد القادر اسماعيل وغيرهم.

كانت "اتحاد الشعب" من الجرائد واسعة الانتشار كونها تمثل لسان حال الحزب الشيوعي العراقي، وكان للراحل تأثيرا واسعا جدا في اوساط شرائح المجتمع العراقي و طبقاته كافة.

كنا نتلقف الجريدة ، وعيوننا تتسارع الى الصفحة الثامنة قبل غيرها لنرى جديد "ابو سعيد" لذاك اليوم. ويذكر ان احد الصحفيين الانكليز لاحظ ظاهرة لدى العراقيين وهي قراءتهم الجريدة من الصفحة الاخيرة وكان يعد هذا الطبع قلة في المعرفة، والحقيقة ان العراقيين يذهبون الى الصفحة الثامنة/الاخيرة لقراءة "كلمة اليوم". في تلك المرحلة كان الناس ينتظرون الجديد من احداث سياسية واقتصادية واجتماعية من قلم "ابو سعيد" اذ كان يعبر عن احتياجاتهم وتطلعاتهم في هذه الحالات. "أبو سعيد" يعد أحد ابرز محرري "اتحاد الشعب"، ومعلما كبيرا، اهتم بالقضايا التي تمس الشعب بشكل مباشر بعماله وفلاحيه وطلابه ومثقفيه. ويعتبر "ابو سعيد" ناقدا سياسيا ساخرا شبيها بالممثل شارلي شابلن في فن إيصال الفكرة، اذ يجعل الناس تشتاق الى مقالاته، ومن عناوين هذه المقالات "شائعات واشياء اخرى" وفيه يسخر من العملاء و المعاميل، و"سارق الاكفان" و"اقطاب و اذناب" وكانت هذه العناوين تخبيء بين سطورها الكثير من المتعة والجدوى.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

مصطفى محمد غريب

ذكرى الشهيد عبد الجبار وهبي "أبو سعيد"

الشهيد عبد جبار وهبي أبو سعيد ذلك الإنسان الذي أشاعت مقالاته وعموده في اتحاد الشعب النكهة السياسية والمتعة في النقد الايجابي وتطوير الحافز الشخصي في توسيع وعي المواطنين له سجل في تاريخ النضال والعمل الصحافي الوطني الديمقراطي وكنت ممن يتابعون اسمه وعموده المتنوع في جريدة اتحاد الشعب الذي يتناول قضايا جوهرية ممزوجة ما بين المطلبي والنظري ، ما بين الاقتصادي والسياسي وبقيت لفترات غير قليلة من قراءه غير المعروفين حتى كان يوم اعتقالي وسجني وأنا ما زلت يافعاً ولم أكن حزبياً وانتقالي إلى سجن الرمادي قسم المحجر ومنذ الوهلة الأولى اخبرني الشرطي المرافق لي أن البعض من الذين اشتركوا في محاولة اغتيال المرحوم عبد الكريم قاسم موجودين في السجن ويتمتعون بمزايا كثيرة وغرف مفروشة تمتد على طول الممر كما اخبرني أن هناك شيوعيين موجودين في قسم المحجر المنعزل عن السجن العام وأثناء استقبالي من قبل مفوض السجن واسمه فهد المعروف بعدائه للشيوعيين والعريف محمد المعروف بانتهازيته المفرطة طلب مني أن اختار المكان الذي أرغبه باعتباري مسجون في قضية سياسية ملفقة فقلت له ـ أريد أن أكون مع قسم الشيوعيين العراقيين، وعلى الرغم من انه كتم غيضه وغضبه وأحسست كم كان كارها لطلبي فقال ـ طبك مرض ودوه لجماعته، وهكذا استقبلت وكنت اصغر سجين في المحجر، بقيت هناك لشهرين حتى اضرابات عمال السكائر والاضرابات التي عمت بسبب ارتفاع أسعار البنزين وفي ذلك الصباح جاءوا بثلة من المضربين والمتظاهرين والشيوعيين كان من بين القادمين رجل يضع نظارة طبية على عينيه، ناعم قصير القامة ذو وجه ناعس مفرط بالأحاسيس مفعم بالأمل والوداعة كانت ابتسامته ظاهرة بحيث جعل المستقبلين يشعرون بالفرحة على الرغم من ضيق السجن والمعاملة السيئة والشعور بالغضب من إدارة السجن بما وضعته من فروق شاسعة من بينها تنفيذ أكثرية مطالب الذين نفذوا جريمة محاولة اغتيال قائد البلاد وبين الذين كانوا يدافعون عنه وعن الجمهورية الفتية، وأثناء دخول السجناء الجدد صاح احد القدامى وقد نسيت اسمه وكان من الموصل " والله هَلا يا هَلا بالرفيق أبو سعيد " وبدأ الجميع يصافحونه ويقبلونه وكنت آخرهم وأصغرهم فالتفت إلى الموصلي ممازحاً علي الطريقة المصلاوية " قلي بقه زي" فضحك الجميع وهزّ المصلاوي رأسه وفهمت بعد ذلك انه كان يستفسر عني وهزّت الرأس كانت قد أجابت " نعم " انه معنا لان المحجر ينقسم إلى ردهتين واحدة للشيوعيين والديمقراطيين وأمامها للموقوفين العاديين والمتهمين بجرائم بما فيها جرائم القتل، كان يدعوني كل يوم بعد وجبة الغداء وشرب الشاي إلى لعبة الشطرنج بعدما ترددت وقلت له " رفيق (هكذا كنت أخاطبه) أنا ضعيف في لعبة الشطرنج " في البداية جعلني أتغلب عليه وكان يضحك مشجعاً بعدما عرف ولعي بكتاباته وعموده الصحافي وقرأ البعض من شعري البسيط وكان يستمع لي بهدوء وإمعان ويقدم لي النصيحة تلو النصيحة "ها شفت شلون غلبت اللاعوب أبو سعيد " لكن الحال لم يدم بعد محاضرته القيمة التي سماها " برجواوية " ففهمت منذ ذلك الحين الفرق بين الطبقة العاملة المسروقة الجهود وبين الطبقة البرجوازية التي تسرق جهود العمال، منه عرفت عن ابنته أنوار التي تدرس أو كانت تدرس في ألمانيا الديمقراطية وعن زوجته المحامية المناضلة نظيمة وهبي لقد تعلم الجميع منه واستفادوا من ملاحظاته، كان واسع المعرفة وقوي الملاحظة وسريع البديهية بسيطاً لحد اللعنة وطيباً يفوق التصور ولطالما يذكرني على الرغم من مشاغله انه استجاب لطلب عبد الرزاق مراقب البلدية غير الشيوعي في كتابة رسائل عتاب لأخيه الذي لم يزوره بعد حجزه من قبل الحاكم العسكري حينذاك ولطالما طلب منه أن يغني لنا المقام العراقي وكان يجيده وتذكرني تلك الأيام أن عبد الرزاق اشترك في برنامج غنائي في الإذاعة وعندما جاء دوره قال " لقد غنيت ـ مالحرب ما بغيكم إلا قشور واللباب سلام " فطردني مدير البرنامج شر طرده ودفعوني مع بعض اللطمات إلى خارج الإذاعة، وكان تقريباً في كل ليلة يتناول موضوعاً سياسياً أو ثقافياً أو تاريخياً مملوءة بالعبر فيصغي له أكثر من (٥٠) سجيناً وموقوفاً ومحجوزاً في محجر سجن الرمادي القديم لكن الحال لم يدم حيث استيقظنا في احد الأيام وإذا به يودعنا مرحلينه إلى سجن موقف بغداد.. بعد مرحمتين من المرحوم عبد الكريم قاسم خرجت من السجن وعلى الفور زرت الموقف وكان لي صديق محجوز بتهمة التشرد والتقيت بالشهيد أبو سعيد وحينذاك حملني رسالة شفهية مع صديق آخر للاتصال بزوجته المرحومة نظيمة وهبي وكانت تسكن بشكل سري في بيت فريد الأحمر على ما اعتقد كرادة خارج وقد نفذت رغبته واتصلنا بها ونقل مضمون رسالته ولم أنسى كلماتها عن صاحب المنزل، لقد خرج بعد ذلك الشهيد أبو سعيد والتقاه ذلك الصديق مرات عديدة فقال لي انه كان دائم السؤال عنك ويقول اشلون حال شاعرنا هل مازال يكتب عليه أن يستمر ويقرأ كثيراً .. ومنذ ذلك الحين وبخاصة بعد سماعي خبر استشهاده وموقفه البطولي صدقوني لم يبارح خيالي بحركاته وكلاماته وابتسامته الرقيقة وحنوه على الآخرين ولقد أخذت بملاحظاته وتوصياته النقدية وتوضيحاته وتشجيعه وطلبه بضرورة تطوير مداركي الثقافية.. الخلود له في ذاكرة الأجيال العراقية مثل ما هو لجميع شهداء الحزب الشيوعي والحركة الوطنية الديمقراطية وكل الذين استشهدوا من اجل عراق يمثل الجميع

خرج بعد ذلك الشهيد أبو سعيد والتقاه ذلك الصديق مرات عديدة فقال لي انه كان دائم السؤال عنك ويقول اشلون حال شاعرنا هل مازال يكتب عليه أن يستمر ويقرأ كثيراً .. ومنذ ذلك الحين وبخاصة بعد سماعي خبر استشهاده وموقفه البطولي صدقوني لم يبارح خيالي بحركاته وكلاماته وابتسامته الرقيقة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

قطعة أدبية لم نعهد مثلها

حمدي العاني

في احد الايام اخذنا الشهيد "ابو سعيد" انا ومجموعة من الشباب الى المطبعة وكان عمري وقتها لا يتجاوز الـ٢٣ عاما ، وبدأ يكتب عموده الشهير "كلمة اليوم" ونحن نترقبه وهو يكتب، فكان ناقدا بارعا ولاذعا يتابع الاحداث اليومية ويعطينا معلومات عن الجو السياسي، وهذا الاسلوب الذي اعتمده في الكتابة جعلنا نرى عموده قطعة ادبية لم نقرأ مثلها من قبل.

كان متمرسا و قديرا ومثقفا كبيرا، ويعد اسلوبه استيعابيا اذ يستقطب مشاكل الشعب بشكل دقيق جدا.

مرة كتب مقالا بعنوان "اسال الشرطة ماذا تريد... وطن حرّ ونوري سعيد" وهذا المقال اثار كثيرا من الانتقادات، اذ كانت الشرطة ترفع سابقا شعار (اسال الشرطة ماذا تريد... وطن حر وشعب سعيد) لكن بعد ان قامت بالتعرض الى الوطنيين واعتقالهم وايداعهم السجون، لم يفلتوا من كتابات "ابو سعيد" الصريحة والمعبرة.

كنا يوميا نقرأ الجريدة من الصفحة الثامنة/الاخيرة و نبدأ بمقال" ابو سعيد" ، وحتى الاعداء كانوا يقرأون مقالته اذ ياخذون الحيطة والحذر منها ومن حدتها، وكانت الجماهير في ذلك الوقت تبحث عن مقال" ابو سعيد" كونه يدافع عن مصالحها ومشاكلها.

الضمير

دينار السامرائي

لا استطيع التعبير عن" ابو سعيد" بسهولة، اذ كان الشعب ينتظر مقالاته بكل اطيافه و شرائحه لاعتماده لغة العامة البسيطة و اجادته السخرية التي يمكن ان نعبر عنها بالسخرية السياسية حيث يوصل المشهد السياسي للجماهير بشكل مبسط ويحوله الى مثل شعبي بسيط.

وقد تجاوز في مقالاته الاطار الحزبي الى الاطار الشعبي

وهذا مثال على الجذب الجماهيري، فتراه يتناول القضايا السياسية والاجتماعية مرتبطة، ويعبر عن مشاكل الشعب والجماهير في تلك الفترة، ويأخذ المشكلة من المواطن ويطرحها بطريقة تجعل المواطن يشعر بانه هو المتحدث ويستشهد بالحوادث العامة التي تتحول الى وطنية يطرحها بطريقة سهلة يتقبلها المواطنون، كان من الصعب على كاتب العمود الصحفي ان يخلق له جمهورا فهذا يعتبر من اصعب الاشياء لكنه اشتهر بعموده وتفرد به، فهو من القلائل في الصحف العالمية من الكتاب الذين حصلوا على جمهور واسع .

وفي سنوات ١٩٥٩.١٩٦٠ لم يكن يوجد شيء يطغى على عموده في الصحافة العراقية، ولا يوجد منافس له وكان للحزب دور في هذا لكنه كان ايضا لولبا و عمودا اساسيا في الحزب، كونه يعبر عن الضمير الانساني والذي عرف به الحزب الشيوعي.

خاصية" ابو سعيد "تكمن في مدرسته التي اسسها في الكتابة ومن اهم طلابه "ابو كاطع".

طريق الشعب
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

الشهيد عبد الجبار وهبي واحد من أبناء الحزب

ع نظيمة وهبي

في عام ١٩٢٠ وفي محلة المشراق بالبصرة، ولد عبد الجبار وهبي أبن عمي وزوجي فيما بعد، وفي مسقط رأسه أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة، وفي الاعدادية حصل على معدلات أهلته لبعثة دراسية حكومية الى انكلترا واستعداداً للسفر انكب على دراسة اللغة الإنكليزية في معهد اللغات ببغداد، الا ان ظروف الحرب العالمية الثانية حالت من دون سفره لإنكلترا وأرسل الى الجامعة الأمريكية ببيروت لإكمال دراسته العالية- فرع الفيزياء، وأثناء ذلك أتجه لدراسة الفلسفة التي شغف بها وكان يدفع من جيبه أجور محاضراتها، وبعد الانتهاء قدم بحثاً في فلسفة سقراط.

بعد إكمال دراسته عاد الى الوطن وعين مدرساً للفيزياء في إعدادية بعقوبة ثم أستاذاً في كلية الملك فيصل حتى قيام وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨.

لقد أنغمر "أبو سعيد" في العلم السياسي منذ عودته، وفي عام ١٩٤٦ كان أحد أعضاء الهيئة المؤسسة لحزب الشعب وكان يحرر في جريدة (الوطن) جريدة (حزب الشعب).

ان فترة ما بعد الوثبة وما رأفقها من هجوم رجعي أستهدف نصف مكتبات الجماهير وأنزال ضربة موجعة بالحركة الوطنية وبالأساس الحزب الشيوعي العراقي وتنظيماته وكوادره.

ان ذلك كله ساعد على بلورة وأنضاج الوعي السياسي والطبقي عند "أبو سعيد" فالتحق على الأثر بصفوف الحزب الشيوعي، اعتقل "أبو سعيد" لأول مرة عام ١٩٥١ مع مجموعة من المناضلين واعتقل مرة أخرى لمساهمته في تشيع جنازة نعمان محمد صالح.

وكما هو معروف فإن فترة الخمسينيات أشرت تنامي حركة السلم وتصاعد نشاطاتها وقد أسهم الشهيد بدور مرموق في حركة السلم وأصدر كتاباً بعنوان (السلام العالمي) ولمشاركته النشيطة في انتفاضة تشرين المجيدة عام ١٩٥٢ فقد أصدر المجلس العرفي حكماً عليه بالسجن لمدة ثلاثة سنوات، الا ان هذا الحكم كان غيابياً ثم أنخرط نهائياً في العمل السري ثم غادر الوطن سراً مع طفليه الى بيروت، وبعد عام التحقت به بعد ان أنهيت سنة في السجن بسبب أصدار كراس (أغاني السلم والحرية) وهنالك عمل "أبو سعيد" بنشاط في التهيئة والإعداد لمهرجان وارثو عام ١٩٥٥ وشارك فيه أيضاً، بعدها انتقل الى سوريا واشتغل بالتعليم في دير الزور وفي موقعه الجديد استطاع ان يواصل تقديم خدماته للحزب وخصوصاً في مجال استقبال القادمين والعائدين من العراق وتسهيل مهماتهم في الخارج، وكثيراً ما يرافق العائدين في ظروف شاقة وبالغة الصعوبة الى داخل حدود الوطن، وكان ذلك يزيده حنيناً للعودة.

في تلك الفترة أصدر كتاب (من أعماق السجون) ووقعه باسم محمد راشد، ثم انتدب في أوائل عام ١٩٥٨ لعضوية الوفد العراقي الذي ترأسه الأستاذ عزيز شريف الى مؤتمر نزع السلاح والتعاون الدولي الذي كان من المقرر عقده في ستوكهولم في ١٦/تموز/١٩٥٨ وكان برفقته الدكتور صفاء الحافظ والشاعر كاظم جواد وغيرهم، وقبل سفرهم بساعات حدثت الثورة المجيدة فعاد الجميع بعد اختتام المؤتمر الى بغداد بعد غيبة طويلة.

ولقد كان الرفيق الشهيد "أبو سعيد" من أوائل المحررين الذين عملوا في (اتحاد الشعب) واعتاد الناس يومها على قراءة كلمة اليوم التي حذق "أبو سعيد" في كتابتها واختيار موضوعاتها فتناول مشاكل الجماهير السياسية والاقتصادية والاجتماعية بروح النقد الساخر والبارع في تأشير الحلول الملائمة لها، الأمر الذي اكسبها شعبية واسعة لدى الجماهير القراء واستمر بكتابتها لحين إغلاق (اتحاد الشعب) وهنا بدأت مرحلة أخرى، حيث تعرض ككل المناضلين لمزيد من الملاحقات والتضييق والتعسف لحين اعتقاله وإيداعه في سجن الرمادي حيث نقل بعدها الى سجن بغداد وأودع في زنزانة الأعدام طيلة شهرين ثم أرسل الى معتقل سرية حراسة الخيالة، وبعد ان أطلق سراحه نقل الى التعليم خارج بغداد.

ان الشهيد عبد الجبار وهبي كواحد من أبناء الحزب الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن قضية الحزب التي هي قضية الطبقة العاملة وقضية مجموع الشعب الكادح، كان يمتلك الكثير من المواهب والقدرات النافعة والمثمرة فالى جانب عضويته في نقابة المعلمين كان عضواً في اتحاد الأدباء وعضواً في نقابة الصحفيين وعضواً مرموقاً في حركة السلم في العراق، وأنا أرجو ان أشهد ذلك اليوم الذي تبادر فيه هذه المنظمات في أعطاء عبد الجبار وهبي حقه وفاءً لما قدمه لشعبه ولوطنه.

"أبو سعيد" ودعوة لجمع أثارة المقالية

ع سعدون هليل

"نعم لن نموت، نعم سوف نحيا
ولو أكل القيد في عظمنا
ولو مزقتنا سياط الطغاة
ولو اشعلوا النار في جسمنا"

الشاعر الفلسطيني معين بسيسو

على الرغم من البحوث والمقالات الكثيرة عن الصحافة وتاريخها وسير أعلامها فإن صفحات كثيرة منها لم تزل تستحق البحث والتذكير، فقد برزت في السماء نجوم لامعة انتشرت أثارها في بطون الصحف والمجلات وهي جديرة بالجمع والتوثيق، ومنها مقالات فقيد الصحافة العراقية المناضل الشهيد عبد الجبار وهبي "أبو سعيد" الذي كان من كبار رجال الصحافة السياسية وأحد أبرز كتاب العمود المقالي.

ولعل من الطريف ما شاع في الخمسينيات من القرن المنصرم، كان الناس يقرأون "اتحاد الشعب" بالمقلوب أي من الصفحة الأخيرة لوجود عمود الكاتب والمناضل الساخر "أبو سعيد". كما كانت "طريق الشعب" أيام السبعينيات أيضاً تقرأ هي الأخرى بالمقلوب لوجود عمود أبو كاطع شمران الياسري "احجة بصراحة"، وهذا يدل على اهتمام القراء بتلك الأعمدة الجريئة التي افتقدتها صحافتنا لفترات طوال وما زالت.

ان أسلوب "أبو سعيد" أشبه بما عرف بالسهل الممتنع، فكانت وحدة الموضوع متجسدة بابعادها وبأسلوب صحفي لأن الأسلوب الساخر عند عبد الجبار وهبي في الكثير من كتاباته لا ينم عن "تطرف حزبي أو سياسي" وما يضمه من عبارات ساخرة على الرغم من حساسية ما عرضه من المقالات الكثيرة التي نشرها على سنوات، فقد كانت فترة الكتابة الذهبية عند "أبو سعيد" في السنوات ١٩٥٩-١٩٦٠ في جريدة "اتحاد الشعب" التي عملت من أجل عراق ديمقراطي حر.

وفي تموز ١٩٦٣ أعلن الحكام الفاشست انقلابيو شباط الأسود أنهم اعدموا شنقاً، المناضل عبد الجبار وهبي مع الرفيقين الخالدين جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي تجسيداً لحقدهم على رموز وشعب تموز وانتقاماً منهم وتخصصاً من نشاطه البطولي، ولهذا دفع الحزب الشيوعي العراقي ثمناً باهضاً وفتحت أبواب السجون للشيوعيين والديمقراطيين.

كانت حفلات التعذيب التي قام بها البعث العفلقي وهو حزب ذي نزعة دكتاتورية فاشية، ومن أجل ذلك سقط الشهداء دفاعاً عن الحرية والديمقراطية، وبقاء الحزب الشيوعي العراقي حياً صامداً في وجه انقلابيين ٨ شباط الدموي، وكان بيان رقم (١١٣) السيئ الصيت وأعلنت إذاعة بغداد في آذار ١٩٦٣ عن تنفيذ حكم الإعدام بحق السكرتير الأول للجنة المركزية "سلام عادل" ورفيقيه محمد حسين أبو العيسى وحسن عوينة.

ومن الجدير ذكره ان الحزب الشيوعي العراقي أصدر عام ١٩٨٤ لمناسبة اليوبيل الخمسيني لتأسيس الحزب، طبعة خاصة لمجموعة من مقالات الشهيد بعنوان "أبو سعيد" مقالات مختارة طبعت بسبب ظروف الحزب النقالية آنذاك بطريقة الرونيو، نطمح من خلال هذه الكلمة السريعة لجمع أثاره وهي ليست من الواجبات الوطنية والاجتماعية فقط، بل من صميم الواجبات العلمية والتوثيقية لأن "أبو سعيد" علم من أعلام الصحافة الواقعية الملتزمة التي حاولت الطغمة الحاكمة بعد ١٩٦٣ التعتيم على تاريخه وأثاره الفكرية.

ان في حوزتي ارشيفاً للعديد من مقالاته الصحفية التي نشرها في جريدة "اتحاد الشعب" وأهل ان تتاح الفرصة لطبعها ليطلع القراء الكرام على هذا التراث الثمين.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

"أبو سعيد" : اسطورة الصحافة اليسارية

"أبو سعيد"

أي عراقي من أبناء الشعب لا يعرف أبا سعيد! ذلك المناضل الباسل، والأديب البارع الذي حمل رسالة القلم ورسالة النضال الثوري بكل ثبات وتفان، وضل أميناً لشعبه والأفكار حزبه الشيوعي حتى آخر اللحظات. لقد شق ابن سعيد (عبد الجبار وهبي) طريقه الى قلوب أبناء شعبنا، واحتل مكانته المرموقة هناك بعد انتصار ثورة ١٤ تموز رغم ان نضالات ذلك الأديب الثوري الخالد تمتد الى ذلك التاريخ بكثير، فعلى جريدة اتحاد الشعب (لسان الحزب الشيوعي العراقي)، كان عبد الجبار وهبي يحتل زاويته الخاصة بتوقيع "أبو سعيد" وكان قرأ الجريدة على اختلاف مشاربهم يتطلعون، أول ما يتطلعون، الى ما يكتبه قلمه اللاذع، شواظاً على أعداء تموز، في التحرر الكامل والديمقراطية والتقدم والرفاه، لقد ناضل أبو سعيد بلا كلل من اجل قيام نظام ديمقراطي رصين في العراق، نظام للعمال والفلاحين والمثقفين الشعبيين وسائر فئات الشعب المعادية للرجعية والاستعمار؛ نظام يؤمن أوسع الحريات الديمقراطية للشعب وقواه التقديمية والوطنية، ويوزع الأرض على الفلاحين الكادحين، ويضمن الحقوق القومية للشعب الكردي، وينهض باقتصاديات البلاد بعد تحررها من قبضة الاحتكارات الأجنبية، نظام معاد لكل أشكال الاستعمار، القديم والجديد، ويسهم بدور هام في حركة التحرر العربي، وفي قضية صيانة وتعزيز السلام العالمي، نظام يقوم على اتحاد جميع طبقات الشعب الوطنية ويكون عماداً له اتحاد الطبقة العاملة والفلاحين.

ودعا أبو سعد بوجه خاص الى الديمقراطية الحقيقية، الى مساهمة الجماهير الفعلية في بناء المجتمع وتطويره، دعا الى حرية الرأي والتعبير وحرية التنظيم وحرية الكلمة والصحافة، كل ذلك من اجل صيانة ثورة تموز ودفعها الى الأمام وتطويرها وتعميقها واغنائها.

وفي تموز ١٩٦٣ أعلن الحكام الفاشست أنهم اعدموا شنقاً، عبد الجبار وهبي مع الفريقين الخالدين جمال الحيدري ومحمد صالح العبلي تجسيداً لحقدهم على تموز وشعب تموز، وانتقاماً منه ومن نشاطه البطولي من أجل خدمة الشعب ورفاهيته، وكرهاً لأفكاره الشيوعية المنيرة الوضاءة، وتحدياً لإرادة الشعب والحزب الشيوعي العراقي، حزب الشهداء، حزب الشعب، واعتقاداً منهم أنهم بذلك يقضون على الحزب ويمنعون نهوضه... ولكنهم كانوا يقضون على أنفسهم ويضيفون أدلة جديدة على إجرامهم، فأدانهم الشعب والتاريخ وسخر منهم، ولابد ان يدفعوا حساب جرائمهم السود.

لقد ولد أبو سعيد في مدينة البصرة، نشأ وترعرع فيها، درس في مدارسها ثم سفر الى بيروت وتخرج من الجامعة الأمريكية فيها متخصصا في علم الفيزياء، وتاريخ الفيزياء في مدارس الثانوية. دفعته مشاكل الشعب العراقي وحالته الى العمل السياسي، وكان إنساناً في نظرته وديمقراطياً أصيلا، ومواطناً غيوراً ومناضلاً جاهد ضد الاستعمار، فبدأ حياته السياسية الانضمام الى الحزب الشيوعي العراقي واهبا حياته ومستقبله وروحه للحزب من اجل قضية الشعب العادلة، فكافح وناضل داخل صفوف الحزب، يلقي القبض عليه مرة ويفرج عنه بعد حين، ثم يسجن، ويطلق سراحه، فيعمل سراً مختفياً عن أنظار أفراد الأمن، متنقلاً بين الجماهير من دون ان يعرفه احد، كرس كل جهوده لخدمة الطبقة العاملة وأهدافها من دون كلل، متحملاً كل الصعاب، وعمل في تشكيل التنظيمات الجماهيرية وساهم في قيادتها.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عمل أبو سعيد بكل طاقته مع المثقفين، مع الكتاب والأدباء مع العاملين، في حركة أنصار السلام، وفي المنظمات الجماهيرية، ومن بعد إجازة، اتحاد الشعب- اليومية- أصبح عضواً في لجنة تحريرها، وتخصص في ركن؟؟، "كلمة اليوم" وكان في هذا ناقداً سياسياً فريداً في أسلوبه البسيط العميق، الناقد الى قلوب الجماهير يعالج قضايا الشعب الهامة والملحة بأسلوبه الانتقادي اللاذع والمشرق.

كان الناس، من مختلف الفئات والطبقات، شيوعيين ونقديين وديمقراطيين، وغير حزبيين ينتظرون الفجر الطالع عليهم" اتحاد الشعب" ويتجهون أولاً الى الصفحة الثامنة، الى العمود الأول، الى كلمة ابن سعيد، يقرؤونها باهتمام وإيمان، يقرأون السطور والكلمات وما بين السطور، فيفهمون ما أراد، "أبو سعيد" وما ألم اليه، انه كان يكتب بأسلوب مشوق، يعالج فيه مشاكل الناس الحقيقية، وان الواحد لا يبدو الحقيقة، إذ يقول ان فئات اخرى من العراقيين، ممن وضعوا أنفسهم خارج القوى الوطنية وعادوا الديمقراطية وضاقوا بثورة تموز وبالنظام الجمهوري، ان هؤلاء كانوا يشترون "اتحاد الشعب" لقراءة "أبو سعيد"، فالحقيقة التي كان يسطرها "أبو سعيد" بأسلوبه الخاص فرضت نفسها على فئات واسعة جداً، حتى على الذين كانوا يفضح مؤامراتهم.

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، عمل أبو سعيد بكل طاقته مع المثقفين، مع الكتاب والأدباء مع العاملين، في حركة أنصار السلام، وفي المنظمات الجماهيرية، ومن بعد إجازة، اتحاد الشعب- اليومية- أصبح عضواً في لجنة تحريرها، وتخصص في ركن؟؟، " كلمة اليوم" وكان في هذا ناقداً سياسياً فريداً في أسلوبه البسيط العميق، الناقد الى قلوب الجماهير يعالج قضايا الشعب الهامة والملحة بأسلوبه الانتقادي اللاذع والمشرق.

ثم انحرف قاسم بسياسته، وعادى القوى الديمقراطية والشيوعية، ونكل بالمواطنين وحرم كثيراً من نشاطهم وحدد القسم الآخر، واطر عدد من المنظمات الجماهيرية الى العمل السري، وتبلور الحكم بنظام معاد للديمقراطية، وللقوى المخلصة المدافعة عن ثورة تموز ومكتسباتها العاملة من أجل الدفاع عن جماهير الشعب العراقي ومصالحه.

وهنا سلط "أبو سعيد" نقده اللاذع على النشاط الرجعي، ألقى الضوء عليه وكشف للجماهير وحذر منه وأهاب بالاستعداد له، وانتقد نظام الحكم نقداً لاذعاً وقد رسم لوحة واضحة بإبعادها وظلالها للمؤامرات السيئة ضد الحزب الشيوعي العراقي والمحاولات اليائسة لتصفيته.

ان "أبا سعيد" في كل ذلك قد اكتسب أمرين متناقضين متلازمين، أحبه أبناء الشعب البسطاء المخلصون والمحبون للخير والرفاه والتقدم وللسلام والمعادون للاستعمار والمناضلون من أجل تصفيته ومن أجل الديمقراطية والتقدم والاشتراكية والغد المشرق، أحبه كل الذين كان يشرق وجههم صباح كل يوم بابتسامة الأمل والرجاء والحب للإنسانية ومثلها العليا.

وفي الوقت نفسه كره "أبا سعيد" الرجعيون والاستعماريون والمعادون والديمقراطيون وعملاء الاستعمار والعهد البائد فكرهه كل الذين يخافون يقظة الشعب ووعيه لأن "أبا سعيد كان نشطاً في بث الوعي بين الجماهير وفي إثارتها وشحذ يقظتها ضد نشاط الرجعيين والاستعماريين والمتآمرين كرهه أعداء السلام وتجار الحروب.

وحين كانت جماهير الشعب ترعى "أبا سعيد" وتصونه كان أعداء الشعب يتربصون الفرص به وعند انتكاسة ثورة تموز وتسلط الرجعيون على النظام الجمهوري واستلامهم المراكز الحساسة في جهاز الدولة القي القبض عليه وأودع السجن من دون تهمة قانونية أوقف في مديرية الأمن العامة في بغداد ثم سجن رقم (١) في معسكر الرشيد بأمر من الحاكم العسكري لأن "أبا سعيد" خطر على أمن الجمهورية، قضى شهور طوال معتقلاً في بغداد والناس البسطاء الذين عبر عن آمالهم يطالبون بإطلاق سراحه وخرج من السجن في أواخر ١٩٦١ الى شعبه الى ملهمه ومصدر قوته.

وفي يوم الجمعة الأسود ٨ شباط ١٩٦٣ اختفى "أبو سعيد" مع رفاقه عن عيون الفاشست وكلابهم السائبة الحرس القومي ذوي الأشرطة الخضراء ففتشوا عنه فلم يجدوه وقتلوا العديد من قادة الحزب الشيوعي العراقي ومئات من مناضليه وكوادره وقتلوا مئات من أبناء الشعب البسطاء الشرفاء، أشاعوا الحزن والموت في العراق وقتلوا وعذبوا وشردوا الآلاف.

اعتقلوا أكثر من مئة ألف مواطن في أيام معدودة قاموا بعمليات الفرز والتشخيص، "أبو سعيد" كان مع بعض رفاقه يحرسهم الشعب في هذه الأيام القاسية فلم يجدوه.

فقد الحزب الشيوعي عديداً من كوادره وقادته وعلى رأسهم السكرتير الأول للجنة المركزية سلام عادل وعانى من ظروف صعبة جداً والشيوعيون كما يعرفهم شعبنا لن يستسلموا يوماً لقد حاول المستعمرون وعملاؤهم والرجعيون القضاء على الحزب سابقاً ففشلوا ولن يكون حظ ورثتهم أوفر يفشلون الآن، وفي المستقبل دفعوا الثمن وسيدفعونه كاملاً بالتأكيد.

عن كتاب مقالات مختارة - ابو سعيد
١٩٨٤

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

أبو سعيد بين بيروت والشام

د. صفاء الحافظ

الكتابة عن الرفيق "أبو سعيد" الكاتب الاجتماعي الكبير ليست هينة على كل حال، وخير من يستطيع تقييمه الملايين من قرأنه الذين قد يتفقون معه في الفكر أو قد يعارضونه ولكنهم مع ذلك كانوا جميعاً يقرأونه وتلك سمة بارزة من سمات كتاباته المنوعة.

و(الفكر الجديد) قررت فتح ملف لعبد الجبار وهبي ولا ريب ان المساهمين سيتناولون الكثير من كتاباته بالتحليل، ولكي يكون الملف منوعاً سأقتصر على رواية جانب من نشاطه ونشاط رفاقه وأصدقائه في فترة محدودة سبقت ثورة تمز ١٩٥٨ وأبتدأت مع فرض حلف بغداد على العراق عام ١٩٥٥ عندما كان "أبو سعيد" يتنقل بين بيروت ودمشقوالأحداث على الساحة العربية تتلاحق بسرعة مذهلة.

بدايات النشاط في بيروت

في الأسبوع الأول من شباط سنة ١٩٥٥ التقيت بالرفيق عبد الجبار وهبي في محطة الديك ببيروت كان برفقته ولديه الصغيرين نادية وسعد، وفي مقهى البحرين جلسنا نتحدث عن مهمتنا الجديدة في تنظيم الصلة بين الحركة الوطنية في العراق وبين حركة التحرر العربي والحركة التقدمية في العالم، كانت بداية لتكوين مركز لتنظيم العمل خارج الوطن تحت إشراف الحزب وتوجيهه.

وبسبب الإرهاب الذي مارسه نوري السعيد ضد القوى الوطنية آنذاك لجأ عدد من الكتاب العراقيين الى بيروت بينهم عبد الرزاق الشيخ علي وعبد الوهاب البياتي وكاظم السماوي وغائب طعمة فرمان، كانوا جميعاً يلتقون صباحاً في مقهى (البحرين) أو في مقهى (فاروق) يقرأون الصحف ويتحدثون في السياسة.

ولكن لا يضيع وقت الكتاب والشعراء هدراً كانوا يكتبون وينشرون في مختلف الصحف اللبنانية السياسية والأدبية، وكان "أبو سعيد" مشجعاً وناقداً وأخاً للجميع، عقدنا علاقات جيدة مع الصحفي الراحل نسيب المتني الذي وضع تحت تصرفنا جريدة (تلغراف) التي كانت تنفرد بنشر أحدث الأخبار الواردة من داخل العراق وكان وجه المتني يطفح بالبشر عندما تأخذ عنه الإذاعات العالمية سبقاً صحفياً يخص العراق.

ثم توطدت علاقة غائب طعمة فرمان بمجلة (الأديب) أو كان يعمل فيها لقاء مئة ليرة شهرياً، وصباح كل يوم أحد كان الجميع يشدون الرحال الى الجبل الى بيت "أبو سعيد" في قرية ضهر الصوان قرب مصح بحتس، وحول النبع الصغير في سفح الجبل العالي كان الكتاب والأدباء العراقيون يتناقشون كل مرة حول مسألة معينة تخص الشعراء أو الأدب ويستمعون كذلك الى آخر الأخبار الواردة من داخل الوطن، وفي الظهيرة كانت نادية تحمل إلينا قدر (الدولمة) الذي طبخته بنفسها وعمرها لم يكن قد تجاوز (١٣) عاماً وخلفها سعد الصغير يحمل الخبز والفجل وماؤنا كان من النبع العذب، ولن أنسى كلمات غائب طعمة فرمان الهادئة وهو ينتقد نفسه أيام الحاضرين لأنه أكل أكثر من غيره ويعزو ذلك الى الجوع الذي يصاحبه

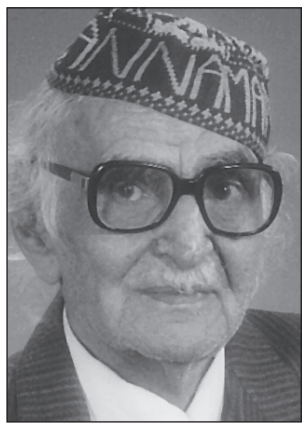

الجواهري

طوال الأسبوع بانتظار مائدة "أبو سعيد" الشهية، وكنت أعلق مازحاً: حصتك أكبر من حصة الآخرين لأنك تحتاج الى غذاء يساعدك على الاستمرار في كتابة قصصك التي تستهوي القراء اللبنانين برغم أنها مكتوبة بالعامية العراقية!.. "كتب في تلك الأيام قصة قصيرة بعنوان "عمي عبرني".

وحدثت أمور جديدة أسقط نوري السعيد الجنسية عن مجموعة من الديمقراطيين بينهم توفيق منير وكامل قزانجي وعزيز شريف وصفاء الحافظ وقرر عبد الوهاب البياتي العودة الى العراق للالتحاق بالخدمة العسكرية الإجبارية في السعدية.

وسافر كاظم السماوي الى هنغاريا بدعوة من جرمانوس وتقرر إرسال عبد الرزاق الشيخ علي الى بغداد محملاً ببريد خاص، وحدث التبديل الهام في موقف مصر بقيادة عبد الناصر عندما رفضت حلف بغداد وأعلنت عن مقاومتها له وطلبت السلاح من المعسكر الاشتراكي وبدأت بوادر التجمع الوطني بين الاحزاب في العراق وحوصرت المرجعية في سورية ونما شعور قومي تقدمي في لبنان.. الخ الا ان نوري السعيد كان مصراً على مقاومة النهوض الشعبي بالقوة فأرسل أعداداً متزايدة من الوطنين من جميع الأحزاب وخاصة من رفاقنا وأصدقائنا الى السجون والمعتقلات، وكان على تنظيماتنا في الخارج أن تتحرك لفضح الإرهاب والإسهام في عزل الحكم الملكي الاقطاعي عن الرأي العام العربي والعالمي وتوطيد علاقات الحركة الوطنية مع جميع القوى التقدمية في العالم.

عزيز شريف

من أعماق السجون في العراق

وصلت من بغداد رزمة تتضمن فصلاً كاملاً عن مذبحة سجن الكوت التي دبرها الحكم الملكي بتوجيه من الاستعمار البريطاني ومجموعة من الرسائل المبعثرة تروي مشاهدات

باشرنا في ضهر الصوان بكتابة الفصل الأول عن مذبحة سجن بغداد وما ان أنتهيت من آخر سطر فيه سلمته الى الرفيق عبد الجبار فأخذ قلماً وبدأ يكتب المقدمة: "الحائط الطويل.." هكذا بدء الكتابة عن حائط السجن المقابل لوزارة الخارجية التي تحتفظ بوثائق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كانت مقدمة رائعة بودي لو تقوم (المفكر الجديدة) بإعادة نشرها الى ان، أخذنا المسودات

بدر شاكر السياب

شخصية عن مذبحة سجن بغداد المركزي وكلها وثائق حقيقية سجلها الباقون على قيد الحياة من السجناء السياسيين.

باشرنا في ضهر الصوان بكتابة الفصل الأول عن مذبحة سجن بغداد وما ان أنتهيت من آخر سطر فيه سلمته الى الرفيق عبد الجبار فأخذ قلماً وبدأ يكتب المقدمة: "الحائط الطويل.." هكذا بدء الكتابة عن حائط السجن المقابل لوزارة الخارجية التي تحتفظ بوثائق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كانت مقدمة رائعة بودي لو تقوم (المفكر الجديدة) بإعادة نشرها الى ان، أخذنا المسودات وأتصلنا بصاحب دار القلم السيد خليل منيمنه الذي كان يتعاون معنا في طبع الكتب لأنها كتب مريحة على حد قوله، قام أحد الرسامين اللبنانين بتصميم الغلاف وبأشرت المطبعة بانجاز الكتاب، وما أن نزل الى سوق بيروت حتى هاجت دائرة الأمن العام وأمرت بالقاء القبض على خليل منيمنه برغم أن بيروت كانت سوقاً لكل كتاب مهما كان لونه، أخذنا حصتنا نسخاً من الكتاب واستطعنا تسريب كمية منها الى بغداد فوصل الى أعماق السجون في العراق.

كان أبو سعيد معجباً بأسلوب الصحفي اللبناني الشيوعي آنذاك أمين الأعور وبقلمه الجارح كان يحلل المعاني ويضع يده على الكلمات الحلوة.

كنا نتردد على أمين الأعور وحسن فخر المحررين في جريدة (الأخبار) جريدة الحزب الشيوعي

عبد الرزاق الشيخ علي

اللبناني الاسبوعية والحديث يدور عادة عن السياسة والعراق والصحافة والكلمة النافذة.

قال "أبو سعيد" مرة: بودي لو أزاول هذا اللون من الكتابة، القصيرة المعبرة، هذا اللون نحتاجه في العراق.. وفعلاً حقق أمنيته بعد عودتها الى الوطن.

الانتقال الى الشام

تحسن الوضع السياسي في سورية وأصبح بإمكاننا البقاء في دمشق من دون مضايقة وظهرت (النور) جريدة الحزب الشيوعي السوري الى العلني وأصبحت منبراً لكتابات عن العراق، إضافة الى صحف بيروت كالأخبار والثقافة الوطنية والطريق والتلغراف وغيرها، وكان البرلمان السوري مركزاً للنضال بين القوى الرجعية التي يمثلها حزب الشعب والأخوان المسلمون والقوى التقدمية التي كان يمثلها حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي السوري ومجموعة من النواب الوطنيين التقدميين بينهم عدد من النواب الأكراد، كان "أبو سعيد" نشطاً في جميع الظروف وأنضم الى المجموعة الأستاذ عزيز شريف، وفي الوقت نفسه تزايد عدد اللاجئين السياسيين من العراق والأردن وتونس الشيوعيين والبعثيون والناصريون والمستقلون، ودار "أبو سعيد" كانت عامرة بالضيوف خاصة بعد خروج زوجته نظيمة وهبي من السجن ووصولها الى الشام تضاعف عدد العراقيين مع تزايد وتيرة الإرهاب في بغداد.

ولم يكن من المستحب برأي "أبو سعيد" أن يبقى شبابنا من دون عمل لأن الفراغ يولد ال مشاكل، وبرغم أن البرلمان السوري كان قد قرر باقتراح

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

من الأستاذ أكرم الحوراني تقديم العون المادي والمعنوي الى اللاجئين من الأقطار العربية، الا أننا فضلنا زج الموجودين في العمل،وفعلاً توظف أغلب العراقيين في التعليم وتوزعوا على المدن والقرى السورية وسافر "أبو سعيد" الى دير الزور مدرساً للفيزياء والرياضيات اختصاصه، وعملت انا محرراً في جريدة (الجمهور) وعبد السامرائي في جريدة (الصرخة) والعامل محمد مطر اشتغل في إحدى المطابع وتفرغ الأستاذ عزيز شريف لتنظيم شؤون (احرار العراق) والإشراف على كتابة وطبع الكراريس التي تصدر باسمهم.

كانت الصلة تتوطد مع التجمعات العربية ومع الدول العربية المتحررة، وأصبحت إذاعة (صوت العرب) منبراً لكل الوطنيين وساهمنا فيها بالتعليقات، وكان "أبو سعيد" خلال وجوده في الشام يزودها بأخر الأخبار الموثوقة من العراق التي ساعدت كثيراً على تعبئة الرأي العام في الداخل والخارج ضد نوري السعيد وعبد الإله والإنكليز.

مهرجان الشباب في وارشو

أقترب موعد مهرجان الشباب في ارشو ١٩٥٥ وبدأ التحضير له في العراق بصورة سرية وبدأ المشاركون يصلون فرادى، ومع كل منهم "رقم" خاص، وقام "أبو سعيد" باستئجار دار واسعة لاستضافة القادمين وسكن هو وأطفاله غرفة في الطابق الأول وتم إعداد كل شيء للسفر وأخذ "أبو سعيد" مسؤولية قيادة الوفد المسافر على الباخرة من اللاذقية وبسبب مرض الطالب رؤوف ديبس الفجائي تأخر الرفيق جورج تلو في دمشق، ثم سافرنا معاً الى وارشو بالطائرة.

ويوم افتتاح المهرجان دخل الوفد الملعب الواسع يحمل العلم العراقي وقد صفق الجمهور كثيراً للعراقيين وللولد الصغير الذي كان يسير أمام الوفد العراقي ويلوح للمشاهدين بكلتا يديه، كان سعد الممثل الأول لأطفال العراق في هذا المهرجان الدولي.

ومن مفارقات المهرجان أن وفدنا سكن مدرسة ابتدائية ومعه الوفد التركي الذي أخبرنا بوصول ناظم حكمت الى وارشو، وفي يوم التضامن مع شبيبة المستعمرات كان "أبو سعيد" والرفيقة بشرى برتو يسيران الى جانبي فشاهدت ناظم حكمت واقفاً في مدخل الغابة ومعه مترجم بولوني، وما ان رأى اللافتة المكتوب عليها (العراق) حتى ابتسم وأنضم الى وفدنا ماسكاً يدي الشابين اللذين تقدما الوفد، وهما يحملان علمين عراقيين ويلبسان الزي القومي العربي والكردي، قلت لأبي سعيد هذا ناظم حكمت، تقدم إليه وقبله وما ان عرف وفدنا بوجود الشاعر الكبير حتى دبت الفوضى فيه وتلقى ناظم حكمت من القبلات ما لم يتلقاه طوال حياته من أعضاء وفدنا ومن الوفود الأخرى التي سرعان ما انتشر الخبر بينها، كان "أبو سعيد" جذلا وفي الوقت نفسه خائفاً على ناظم حكمت من ان تخنقه القبلات.

وفي يوم آخر زارنا ناظم حكمت في مقر وفدنا وكان استقباله حاراً ولما رددنا الزيارة في فندقه قال:

- أهلاً بكم شباب العراق انا لا أنساكم أبداً بعد إضرابي عن الطعام لمدة (١٣) يوماً أرسل لي أخوان عراقيون تمراً الى داخل السجن، وكانت اللقمة الأولى من تمركم اللذيذ.

ثم أردف قائلاً وهو مطرق برأسه: انا مؤمن بسيادة الاشتراكية في العالم ولكني مقتنع بأنكم في العراق سوف تحققون الاشتراكية قبلنا، ومع ذلك سوف تنتصر الطبقة العاملة التركية ويلتقي شباب العراق وشباب تركيا في ساحات اسطنبول، سوف لن أكون بينكم آنذاك لأن قلبي ضعيف مع ذلك ستلتقون!

الرفيق سلام عادل وأبو سعيد

وصل الرفيق سلام عادل الى دمشق بعد ان شارك في إحدى الفعاليات الأممية في بريطانيا والتقى معه عدد من الرفاق وتقرر في حينه أن يعود أبو إيمان عن طريق الحدود السورية- العراقية أي عن طريق غير شرعي، وكان "أبو سعيد" مدرساً في دير الزور في منطقة الفرات العليا في سورية.

سافر الرفيق سلام عادل بصحبة أحد الرفاق الى الرقة أولاً ثم الى دير الزور فأستلمه "أبو سعيد" الذي أوصله الى الحدود ودبر أمر عبوره بسلام! كان أبو إيمان يقدر عاليا أخلاص وكفاءة "أبو سعيد" ولا يمكن أن أنسى تلك الأمسية في دير الزور، وبيت "أبو سعيد" يطل لعلى الفرات ولأعلى بساتين الدير، بل على مقبرة موحشة مقفرة كانت تثير أعصاب نظيمة وتلعن نوري السعيد الذي أوصلها الى هناك، الا ان كلمات سكرتير عام حزبنا كانت تنبئ بالنصر القريب وتلمح بإمكانات فعلية لتنظيم يزداد رسوخاً خاصة بعد كونفوس ١٩٥٦.

المؤتمر الشعبي العربي

كان زخم حركة التحرر العربي يساند أحزابنا في العراق ويدفعها الى الائتلاف في جبهة موحدة، الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال.

وفي دمشق انعقد المؤتمر الشعبي العربي حضره كل من كامل الجادرجي وصديق شنشل وفائق السامرائي وعزيز شريف وعامر عبد الله وعبد القادر إسماعيل وجابر عمر وغيرهم، وكان مقر المؤتمر الجديد مكانا للقاءات بين ممثلي الأطراف الوطنية من العراق وسورية والأردن ومصر وتونس وغرفة فؤاد جلال نائب رئيس مجلس الأمة المصري، كانت منتدى لجميع الوطنيين في فندق سميراميس في دمشق والصحفيون المصريون محمود السعدني ومحمود القاضي وعبد الرحمن الخميسي والشرقاوي لعبوا دوراً في نشر أخبار العراق عبر وسائل الإعلام المصرية والصحف السورية كالرأي العام والنور والصرخة وغيرها لا تخرج الا وفيها شيء عن العراق، كان العراق مرشحاً للانضمام الى الدول العربية المتحررة وخلال تلك الأيام هددت تركيا عضو حلف بغداد سورية بالاحتلال فشكلت (المقاومة ال شعبية) التي شارك في ها كل العراقيين المتواجدين في دمشق، وأذكر من بينهم شفيق الكمالي ومحمد رضا الجابري من البعث، و"أبو سعيد" وعبد السامرائي وكاظم الدجيلي وغيرهم من العراق.

انتهى التدريب على استخدام السلاح وساهم العراقيون في إقامة المتاريس حول دمشق في شارع رمانة، كانوا يحملون أكياس الرمل استعداداً للدفاع عن دمشق العربية، الشيوعي والبعثي والديمقراطي والمستقل كلهم في خندق واحد.

الجواهري والسياب

كان الجواهري قبل ذلك قد لبى دعوة تأبين الشهيد عدنان المالكي الذي اغتالته الرجعية في الملعب البلدي.

وفي بغداد اعد مسبقاً أبيات القصيدة ونزل ضيفاً على الجيش السوري في فندق المشرق، زاره "أبو سعيد" ومعه عدد من الرفاق مرحبين بالشاعر العربي الكبير وأحاط به الشعراء والأدباء السوريون من كل لون واتجاه وطني ورحب به الضباط الوطنيون خاصة هشام العظم الأديب المعجب بالجواهري وشعره.

كان تأثير ذلك على الجواهري عظيماً دخلت عليه مرة غرفته قبل حفل التأبين بيوم واحد، كان يردد أبياتاً من الشعر قال: أسمع!

خلفت غاشية الخنوع ورائي
وأتيت أقبس جمرة الشهداء

قلت: هذا عظيم! متى نظمت هذا البيت؟

قال: الآن سوف أبقى في الشام ولن أعود الى العراق.

كان "أبو سعيد" مسروراً عندما نقلت إليه النبأ، وأخذ يردد البيت الأول بنغم خاص.

وفي فرصة أخرى لا أتذكر موعدها بالضبط جاءني "أبو سعيد" وقال: بدر السياب في دمشق هل تزوره؟

ذهبنا الى مقهى الهافانا والتقينا بالشاعر الكبير بدر، ودار الحديث بين "أبو سعيد" وبدر حول البصرة وذكريات قديمة (كلاهما من البصرة ومن جيل متقارب)، وسافر بدر الى بيروت لإلقاء محاضرة في الجامعة الأمريكية بدعوة من مجلة (شعر) وعندما عاد ثانية الى دمشق التقينا به وودعه "أبو سعيد" في محطة سيارات (نيرن).

كان الجواهري قبل ذلك قد لبى دعوة تأبين الشهيد عدنان المالكي الذي اغتالته الرجعية في الملعب البلدي.
وفي بغداد اعد مسبقاً أبيات القصيدة ونزل ضيفاً على الجيش السوري في فندق المشرق، زاره "أبو سعيد" ومعه عدد من الرفاق مرحبين بالشاعر العربي الكبير وأحاط به الشعراء والأدباء السوريون من كل لون واتجاه وطني ورحب به الضباط الوطنيون خاصة هشام العظم الأديب المعجب بالجواهري وشعره.

النبأ العظيم

خلال العطلة الصيفية عاد "أبو سعيد" مع زوجته نظيمة الى الشام ونزلا في دار تجاور دارنا في المزرعة ال جديدة وكان الرفيق عامر عبد الله هناك أيضاً، وفي الصباح الباكر طرقت السيدة نظيمة الباب علينا وقالت بصوت عال ثورة.. ثورة في العراق سمعت راديو بغداد بأذني يعلن الخبر انطلقت في شوارع دمشق مظاهرة عفوية قادها العراقيون، كان "أبو سعيد" في المقدمة يهتف ويضحك وتدمع عيناه، وأمام المسيرة حملت ام شروق علماً عراقياً وما ان وصل الموكب الى سينما الأهرام حتى هجم عليها شاب عراقي أهوج وانتزع العلم من يد المرأة العراقية تعبيراً عن سخطه.

تقدم عسكري متفرج من الرصيف وأدب الشاب غير المؤدب بالطريقة التي تليق به لقد كانت الثورة أعظم من الزعائق.

تقرر فوراً ان يسافر "أبو سعيد" مع الوفد لحضور اجتماعات مجلس السلم العالمي الذي ينعقد في ١٦/ تموز في هلسنكي (فنلندة) وهناك استقبلوا وفدنا بحفاوة بالغة وصفقوا كثيراً عندما انتهى رئيس الوفد من إلقاء كلمته التي أعلن فيها ان الثورة صامدة بوجه التهديدات، كنا نتناول طعامنا يومياً مع الوفد المصري برئاسة خالد محيي الدين ومن أعضائه الفنان الراحل عبد الحليم حافظ والملحن كمال الطويل.

ودعانا لتناول الغداء الوفد السوفيتي برئاسة بوبوفا عضو رئاسة مجلس السوفييت الأعلى، وكان من جملة الحاضرين الكاتب المعروف بوريس بولفوى(١) تكلمت رئيسة الوفد وقالت: لا زالت حكومتنا السوفياتية تراقب الوضع في العراق بحذر شديد وبرغم انقطاع الأخبار وصعوبة الاتصال بالعراق فإننا نستطيع ان نطمئنكم بأن حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية تقف بكامل ثقلها الى جانب شعب العراق في ثورته العظيمة، وأنها باشرت بإجراء مناورات على الحدود الإيرانية.

العودة

باشر العراقيون بالعودة الى الوطن فودعنا أشقاءنا السوريين وشكرناهم على حسن الضيافة والمساندة الأخوية التي تلقاها اللاجئون السياسيون وكل المسؤولين عن تنظيم علاقة الحركة الوطنية العراقية بحركة التحرر العربي والعالم.

وترك "أبو سعيد" سورية بعد انتهاء مهمته فيها ليواصل النضال في صفوف الحزب الشيوعي العراقي حتى لحظة الاستشهاد.

جريدة طريق الشعب ١٩٧٥

ناظم حكمت

غائب طعمة فرمان

عبد الوهاب البياتي

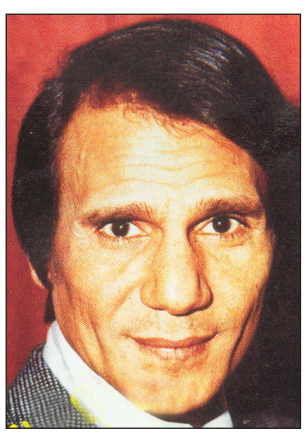
عبد الحليم حافظ

العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

مقالات مختارة

بقلم ابو سعيد

١ ـ سارق الأكفان . .

١٩٦٠/٤/٧

التقيت في البصرة بتاجر وسط، كان حديثه يدور شأن الكثير من الناس في الشكوى من ارتفاع الأسعار "الدهن.. اللحم.. صابون أبو الهيل.. السمك.. الصبور والبصل بوجه خاص".

شوف ابني كل انواع المرق "الباذنجان الفاصوليا السبيناغ الطمامة" ما عدا مرق "الشجر" تحتاج الى البصل، وكذلك الدجاج المحشي والسمك المحشي واواع الكبة والدولمة تحتاج إليه وسعر الأوقية يعتبر حقتين ونصف اسطنبول من البصل بـ٦٠٠ فلساً بينما السكر الإنكليزي يصنع في بريطانيا العظمى ويدفع عليه "نول" للشحن واجور حمالية وخانجية ودلالية وكمرك وأرباح تاجر جملة ومفرد، ثم تشتريه بنصف سعر البصل، شفت ابني هذي أين.. ومتى صارت.

قلت:

- إذا لم يبق شيء غير البصل تفكر فيه من أشياء في البصرة برغم لذة البصل مع الدجاج المحشي، ولذة البصل مع الخبز الناشف في طعام بعض الناس فأني لا أرى رأيك في التشاؤم من سعر البصل، ان ضجة البصل تنبه رائحة البصل فهي أكبر وأضخم من حقيقتها.. البصلة صغيرة ورائحتها تمل البيت وضجتها تمل المدينة، وأكل البصلة يفضح نفسه إذا نطق.. أليس كذلك؟

وفي اعتقادي أيها العم ان فقدان البصل من الأسواق مسألة بسيطة فيكفي جلب ١٠٠ طن الى البصرة أعني عشرة شاحنات قطار وبعدها عشرة فيعود سعر البصل الى وضعه، فالمسألة بسيطة ولا ينبغي تكبيرها ولا ينبغي الإصغاء للشائعات التي يروجها أعداء الجمهورية خصوصاً منهم جواسيس العهد المباد.

شوف ابني كل انواع المرق "الباذنجان الفاصوليا السبيناغ الطمامة" ما عدا مرق "الشجر" تحتاج الى البصل، وكذلك الدجاج المحشي والسمك المحشي واواع الكبة والدولمة تحتاج إليه وسعر الأوقية يعتبر حقتين ونصف اسطنبول من البصل بـ٦٠٠ فلساً بينما السكر الإنكليزي يصنع في بريطانيا العظمى ويدفع عليه "نول" للشحن واجور حمالية وخانجية ودلالية وكمرك وأرباح تاجر جملة ومفرد، ثم تشتريه بنصف سعر البصل، شفت ابني هذي أين.. ومتى صارت.

قال:

- شوف أبني نحن أنا وأولادي لا نتعاطى السياسة وليست لنا مداخلات والحمد لله ونكره حتى مراجعة المحاكم، ونحن لهذا السبب لا نبيع بالكميالة ولا أعطي ديناً بفلس أحمر، بل أبيع نقدي أنا أضع في الجيب وأنام مرتاح البال، ولكن ما تفضلت به من وجود الجواسيس وأهل الطمع والرشوة واكلي المال الحرام هو صحيح وهو سبب المشاكل.

أحكي لك "سالفة" في المعنى الذي في فكري، يقال ان ولداً يتيماً كان يسمع الناس من كل صوب يشتمون ويلعنون أباه وهو لا يدري سبباً لغضب الناس على أبيه "المرحوم" وكان يسأل امه عن السبب فلا يلقى عندها الجواب حتى زهق وذاق ذرعاً بالحياة وبالناس فراح يهدد أمه ويظهر عليها الخناق لتكشف له السرحتى أخبرته بأن الوالد المرحوم كان ينبش القبور ويسرق أكفان الموتى فأحتقره الناس وكرهوه وشتموه ولعنوه حيا وميتاً.

وراح الولد أبن الملعون يفكر كيف يحسن سمعة أبيه ويخلص روحه من اللعنة، فذهب الى المقبرة وصار ينبش القبور ويسرق أكفان الموتى- كما فعل أبوه من قبل- ويزي على ذلك بأن يمثل بأصحابها حتى أشتهرت فعلته وصار الناس يترحمون على أبيه، فقد كان أبوه يسرق الكفن رحمه الله ولا يمثل في الجنازة، هكذا صار يتحدث الناس!

شوف ابني "أبو سعيد" ان بعض الموظفين وغير الموظفين عندنا وربما في بغداد أيضاً يريدون ان يترحم الناس على أرواح عبد الإله ونوري وأبنه صباح فهذه هي المسألة!

قلت:

السالفة لطيفة أيها العم ومفيدة للذين يريدون ان يفهموا، لكن السوالف وحدها لا تكفي خصوصاً وان الإنكليز والأمريكان والجنيهات والدولارات والإذاعات والشائعات والأكاذيب كلها موجودة تؤثر في العقول والقلوب وبعض الضمائر وعليه ينبغي ان تكون على حذر فليس أخبث من الاستعمار في الدنيا وليس أخبث من جواسيسه.

والمسألة عندي أيها العم ليست في أسعار البصل او اللحم والدهن، بل ليست فيها براء من مشكل أخرى ومضايقات واعتداءات وقتل، بل هي في أصابع الاستعمار.. الأصابع التي ينسى وجودها البعض ولا ننساها نحن الشيوعيين.. ومنا وعد انني سأظل أذكر الناس بالاستعمار.. ووعد آخر أني سأنقل بأمانة الى الشعب الأفكار والسوالف النافعة.

٢ - أبو شوارب

١٩٦٠/٥/١٢

من تجربتي خلال عام من عمر الصحافة الوطنية العلنية الحرة أطال الله بناءها ما بقيت جمهوريتنا المتحررة من تجربتي ان الكواليس والدهاليز والمجالس، وهي امانات والكتب والبرقيات والتوجيهات على اختلافها ارتفاعاً وانخفاضاً ليس فيها خبر بمعنى الخبر الصحفي، ناهيك عن الخبر الصحفي السجين، ذلك ان اخبارها ليست أخباراً يجهلها الناس، فالشائعة عندنا في هذا البلد تسبق الخبر وتمشي أسرع منه حتى ليعجز الصحافي في بغداد ان يصطاد شيئاً لم يسبق ان تهامس به الموظفون أو جلاس المقاهي أو استمع اليه المستمعون من إذاعات عالمية.. غريب أمر هذا البلد وغريب أمر شعب له ألف.. ألف أذن وعين (.. تلك تجربتي وأني أراهن عليها وأنطلق منها الى مذهبي في الصحافة وطريقتي في الخبر.. الخبر الذي أسعى ان أجده سميناً وصغيراً وطريفاً في الوقت ذاته.

وطريفتي أني أبحث عن الخبر لا في الكواليس والدهاليز المعتمة الضيقة، بل في عرض البحر وعند سطوع الشمس أنا أذهب الى الشعب.. الى الجمهور الواسع من الناس فاندس بين صفوفهم واستنطق الأمهم وأمالهم واسطاد هناك في الشارع والمقهى والتاكسي والسينما والسوق والمعمل.. اسطاد ما أشاء من الأخبار والأفكار.

من ذلك هذا الخبر الذي أتيت به من البصرة، فرصة لرؤيته حتى توفرت في صباح أول عيد الفطر المبارك، صعدت الى تاكسي في البصرة قاصداً العشار وجلست وانتظرت وطال انتظاري ولم يأت ركاب آخرون فتنحنحت واشعلت سيكارة فالتفت السائق الي بوجه أصفر ناهل وشوارب سوداء ضخمة وعينين أختلج فيهما الحياء.. الحياء الذي يفهمه البصريون في أنفسهم ويعرفونه ويقدرونه.

قلت للسائق: أمشي على حسابي، ولكن قل لي بربك أليس اليوم يوم الظاول من العيد؟ فأين الأطفال على الأقل الذين يذهبون الى العشار في الصباح؟.. هل تغيرت العادة؟ أنا لم أر البصرة منذ سنوات!

قال: لا.. ولكن الناس ما مرتاحين.. عمي الناس تريد عيشة والشرطة والأمن ردوا مثل أول مثل نوري السعيد.

قلت: مكافحة الشيوعية؟

قال: نعم.. ويااليت يمشون عالقانون! أتصدق عمي أن معاون البصرة أراد توقيفي بتحريض من سيد (..) المحاسب في دائرة (...) وهذا السيد كان قد اشترى مني سيارة قبل ثمانية أشهر وما زلت أطلبه بقية المبلغ، اما هو فقد حرض صديقه المعاون على توقيفي لاتنازل عن الطلب وبكل سراحة وقف الاثنان في الشارع هو والمعاون واعترضا سيارتي وأراد المعاون أخذي الى المركز بعد ان رفضت التنازل عن الطلب، لكني هربت وواجهت الحاكم وهو إنسان شريف فخلصني من التوقيف و(رزل) المعاون وفي الليل جاءت الشرطة مسلحة وأخذوني الى المركز من البيت وأول كلمة قالها المعاون:

– ولك.. أنت صاير ستالين؟ شنو هالشوارب؟ أنت شيوعي؟!

ثم صار يهددني ويشتمني ولكن وأنا أعرف قصده ولا أخاف من تهديده ولا اتنازل عن الطلب واعتقد بالله راح أربي شواربي وأسويها مثل دعامية الفتر.. عمي نحن لا تخاف!

قلت: وماذا حصل؟

قال: طلعت في الليلة نفسها وبقي في الموقف كثير من العمال والطلاب ولكن من يدري ربما يوقفني المعاون مرة ثانية ويمكن تلفيق التهم مثل أول.. ويمكن أرسالي الى العرفي مثل أول ومع ذلك أنا لا اتنازل عن الطلب ولا نحن نسوان حتى نزين شواربنا..

فضحكت طرباً واعجاباً بالرجل البسيط الطيب.. أبو شوارب.

قلت: اتوافق على نشر هذا الخبر عنك في الجريدة؟

قال: أوافق!

قلت: الا تخاف؟

قال: ولماذا أخاف؟.. أنا واحد من الشعب.

هذا الخبر نموذج "للصيد" في البحر أهديه الى الأصدقاء والزملاء الصحفيين فلعلهم يتوجهون بأنفسهم الى الشعب لاستقصاء الخبر الصغير النابض.. الخبر الذي يسد فراغاً في بعض الأحيان.

قلت للسائق: أمشي على حسابي، ولكن قل لي بربك أليس اليوم يوم الظاول من العيد؟ فأين الأطفال الذين يذهبون الى العشار في الصباح؟.. هل تغيرت العادة؟ أنا لم أر البصرة منذ سنوات!
قال: لا.. ولكن الناس ما مرتاحين.. عمي الناس تريد عيشة والشرطة والأمن ردوا مثل أول مثل نوري السعيد.
قلت: مكافحة الشيوعية؟

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

٣ - لم لا ترفعان صوتكما؟

سنة ١٩٥٣ في شارع غازي (الكفاح اليوم) كنت في سيارة (نفرات) مع زميل لي في الكلية، كنا نتحدث همساً عما يدور في وطننا فجأة التفت الينا رجل سريع الحركة ذو النظارتين:

– لماذا لا نرفعان صوتكما؟

– من يستطيع أن يرفع صوته؟

– كلنا.

وطوال الطريق حتى بلوغنا الباب الشرقي ظل الرجل يحدثنا عن الوطن والحرية وقوة الصوت العالي، وتمر السنوات..

وفي دمشق عام ١٩٥٧ في (التعاونية) الدار الواسعة التي كان يسكنها عراقيون معارضون منفيون التقيت مرة أخرى بالرجل نفسه عبد الجبار وهبي، كانت (التعاونية) منظمة تنظيما دقيقياً.. الخفارات غسل الصحون تنظيف الأرض.

وعبد الجبار وهبي يقوم بنصيبه كاملاً ويسخر منا، نحن الشباب الذين نعكف على غسل الصحون والأربطة في أعناقنا، لكنه كان يهتم بنا اهتماماً جاداً من ناحية المطالعة ومتابعة ما نكتب.

وفي المقهى حيث نجلس كان يوصينا بألا نبذر قروشنا القليلة على شراء الصحف، كان ينصحنا بشراء صحيفة واحدة نستطيع بالقراءة الجادة ان نعرف منها ما تنشره الصحف الأخرى.

– أنتم قادمون من العراق متشوقين لقراءة الصحف السورية، لكن ربع الليرة يفيدكم في ملء بطونكم.

وفي «اتحاد الشعب» أعرف «أبا سعيد» كاتب المقال اليومي على الصفحة الأخيرة، كان يجلس في الغرفة الصاخبة يلقي التحية والنادرة السريعة ثم يأتي بالورق الأسمر آنذاك يختفي عنا أو نختفي عنه، يظل يكتب من دون انقطاع ومن دون توقف ومن دون التقاط أنفاس حتى إذا أتم المقال اليومي غادرنا مسرعاً ملقياً تحيته ونادرته السريعة حاملاً كنزه كما يحمل نظارته.

ذات يوم جربت ان اجاريه في كتابته الساخرة، كتبت مادة عن (الأسد) حسبتها طريفة أو ظريفة ونشرت المادة في (صوت الأحرار) سنة ١٩٦١، وفي اليوم الثاني قال لي: المقال جيد لكن يعوزه شيء..

– لماذا؟

– سطر واحد.

– ..؟

– من يقول للسبع: حلقك جايف؟

هكذا وبضربة واحدة عرفت ان كتابة «أبي سعيد» لا تجارى.

عندما أغلقت السلطات جريدة (الحرية) قال:

– خطوة خطرة ينبغي الا يفرح بها أحد.

– أبتدأت المسألة بجريدة (الحرية) وتتلوها (اتحاد الشعب) علينا ان ندافع عن الحرية.

وقد حدث هذا فعلاً.

٤ - المومى إليه صاحب القلم اللسان مابي عظم

١٩٦٠/١/٢٢

مثل شائع معنا ان اللسان يطاوع صاحبه فيما يقول حقاً أم باطلاً، فاللسان أداة يحركها الضمير الفاسد أو السليم، ومثل اللسان في خلوه من العظم كمثل القلم وان كان القلم كله عظم أو خشب، فالقلم أداة أيضاً يكذب كما يكذب اللسان، بل كما لا يكذب اللسان فهو أطوع واخبث وأكثر إيذاءً وضرراً.

والكذب باللسان ربما تفضحه حمرة الخجل على وجه الكذوب وربما تفضحه النظرة أو الإرتباكة، لكن القلم وهو في يد الكاتب في غرفة "تسويد" جريدة سوداء مغلوقة دونه الأبواب فلا يرى وجوه الناس تكشر أو تعبس أو تبتسم ليشعر بوطأة الانفعال ليخجل أو يضطرب، القلم أعمى حين يكذب.. حين يشتم وحين يفاخر بما ليس في صاحبه ويعرف الناس بلية الأعمى إذا ركب ضميره الشيطان، ومثلها بلية القلم إذ يسخره الشيطان.

كان هذا إطار أفكاري أيها الصديق القارئ حين قرأت مقالة وبعدها أخرى.. وأخرى جريدة سوداء لامعة عرضت بمحكمة الشعب وغمزت رجالها العاملين وأساءت الى كل ما هو شريف وخير في هذا الوطن، ثم هددت وأنذرت وتوعدت واستفزت وطلبت من موظف يشغل منصباً خطراً ان يتنازل عن صفته المؤقتة لينازل صاحب الجريدة في أية ساحة للنزال، ربما كما يتنازل أو يتبارز فرسان عصر الفروسية، وعندي ان طلب النزال هذا دليل شجاعة وهو اظرف وأطرف ما قرأته من مفارقات في صحافة عهدنا الجمهوري، وكم كان بودي وبود الناس جميعاً ان يشاهدوا دليلاً للشجاعة يقدمه المومى إليه في مسيرة يخرج بها مع الناس مع زملائه الصحفيين في الأقل، ان لهاتين المقالتين في الجريدة قصة يحسن ان يطلع القارئ عليها من أولها.

جاء في سير المحاكمة الجارية هذه الأيام على لسان بعض الشهود أسماء الجرائد التي يحملها ويقرأها المتهمون ومن على شاكلتهم من رجعيين وحاقدين وتلك مسألة يعرفها الناس، لكن بعض الشهود يردف بعض الأوصاف المعروفة أيضاً بعد كل اسم من أسماء تلك الجرائد صفراء، سوداء، قذرة الى آخره مما اعتاد ان يطلقه الناس في بيوتهم ومجالسهم من أوصاف على تلك الجرائد.

٥- الصحافة السوداء

١٩٥٩/٩/٢٧

الصحف البغدادية أقرأها جميعاً صباح كل يوم كل زاوية منها، وعندي ان العنوان يعمل في المقال أو الخبر عمل الزر في الدائرة الكهربائية فهو يعطيها الحياة فيشعل المصباح وتدور المروحة وينطق الراديو ويرن الجرس، العنوان عندي هو الذي يهب الحياة لما تحته من سطور وكلمات.

لذلك أنصح القارئ ان يقرأ عنوان المقال أو الخبر ثلاث مرات مثلما أفعل وان يقرأه مرة رابعة بعد الفراغ من المقال أو الخبر ولسوف يجد القارئ إذا أخذ بهذه النصيحة مادة خصبة للتفكير والاستنتاج والاكتشاف وحتى حين يفشل في فتح الحياة كالزر فإن العنوان لا يفقد قيمته، ذلك انه يبقى عنواناً لذكاء الصحفي وأحياناً لخلقه أو وطنيته أو قوميته أو ديمقراطيته أو شغفه بشيء من تلك المشغوفات بهن هذه الأيام.

الصحف البغدادية أقرأها ثم استعرضها من عناوينها وأضع لنفسي مخططاً لصحافة اليوم.. ماذا في الصحافة؟ ومن هذه المسألة انتقل الى المسألة الأهم ماذا وراء الصحافة؟ والكلمة وراء تعني المعركة التي ليست على الورق، بل على الأرض.

وفي كل مرة انتقل فيها من الصحافة الى ما وراء الصحافة، ومن الورق الى الأرض كنت ازداد وثوقاً ان في صحافة هذا البلد صحافة يستعصى على المرء وصفها بأي صفة أو لون.. اللهم الا لون الخيانة.. لون علمها الأسود فهي صحافة سوداء حيث لا عقيدة ولا مبدأ ولا خلق، وأني والله لا اتجنى على الصحافة السوداء، بل هي التي تتجنى على وجه جمهوريتنا الناصع فتشوه صفحته وتسيئ اليه سيئة أهل جهنم.

وبودي ان ارفع عن ذهن القارئ ما يحتمل من التباس الصحافة السوداء تكرس عناوينها وصفحاتها الكاملة لموضوع "الحرب" على الشيوعية باسم الدين والعروبة وأحياناً باسم الوطنية والإنسانية والديمقراطية، لكن تلك الحرب ليست بدعة على الحياة في عصرنا ولا في وطننا العراق وقد سقط هتلر وتوارى نوري السعيد وسقطا لا لأنهما أعداء للشيوعية وان كان الرجلان من مشاهير أعدائها كل في مجاله وبقدر طاقته وليس يصعب على المفكر ان يتصور ويدرك كيف ولماذا الطغاة والخونة والمأجورون برغم كل الصراخ المجنون بخطر الشيوعية.

فالنتيجة ليست هي المسألة وان كان ظاهرها يبدو مثلما تزوقه الصحافة السوداء على طريقة أبطالها الشهداء الأبرار صراعاً بين العقائد والمبادئ، الصراع الذي يعرفه الناس الاشراف قراعا بالحجة والفكرة بالفكرة في سبيل الخير للوطن والشعب، وقد ينقسم الناس بمقتضاه الى حركات وتيارات واضحة الى يسار ويمين ووسط تلتقي كلها عند سلامة الوطن، حيث لا مكان للخارجين المتمرين عليه وبكلمة..

هنالك معركتان: معركة على الورق هي معركة مبادئهم ضد الشيوعية، وهذه موضع هزئ، ومعركة يخوضها الوطن، تخوضها الجمهورية الباسلة الفتية ضد المستعمرين الإنكليز والأمريكان والصهاينة وحلف بغداد عل الطمع بفتات المائدة، إذا تعذر أكل المائدة، وأنني في هذه المعركة عدو لا أهزأ ولا استهين بأعداء وطني ولا أهزأ ولا استهين بصحافتهم السوداء فهي ختجرهم في ظهري وفي ظهر جمهوريتي وشعبي العظيم.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

٦ـ مطبعة القاعدة

هذا المقال لم ينشر باسم "أبو سعيد" وإنما نشر بتوقيع (عامل مطبعة) في جريدة "اتحاد الشعب" بتاريخ ١٩٦٠/١/٢٦ ونعيد هنا نشره ليس باعتباره نموذجاً من كتابات الشهيد "أبو سعيد" –فنموذج واحد لا يقدم تعريفاً كاملاً بأسلوب الكاتب– وإنما باعتباره صفحة من مذكرات لم يجد "أبو سعيد" وقتاً وعمراً كافياً لكتابتها.

حين تزدحم الذكريات ويطلب إليك ان تقصر الحديث على بعضها، وبعضها فقط لأن البعض الآخر لم يحن وانه بعد وأن يخصص لك حيز محدود فأمر باعث على الحرج ولكن "اتحاد الشعب" تطلب ذلك وما اعتدت أن أرد لها طلباً.

تعود بي الذكرى الى موعد لقاء مع أحد الرفاق لا زالت أذكره حين جاءني يركب دراجة ويرتدي ملابس الفلاحين البسيطة واصطحبني معه على دراجته وراح يشق بساتين النخيل حتى توقف عند باب مصنوع من جذوع النخيل، فدفعه بهدوء ودخلها كانت ثمة غرفة واحدة طويلة قديمة وواضح أن الأغنام والماعز قد اوت غليها في بعض الأيام، التفت الى الرفيق وابتسم فنحن إذن في مقر مطبعة القاعدة.

نصبنا (النساكي) على الأرض ووزعنا الحروف وبدانا العمل في الحال، ولكننا ما كدنا نستعد لطبع العدد الجديد من القاعدة حتى أخبرنا بضرورة الانتقال الى مقر آخر بسرعة، وكان هذه المرة واحد من بيوت الفلاحين وهو أفضل من سابقه لولا بعده عن مصادر الورق، وتعلمت بعدها أننا لن تستقر في مكان، كنا في صراع مع (العيون) و(الارصاد) لنسرب من بينها أكداس الورق غير المطبوع لنعيده مطبوعاً.

وفي سياق مع الزمن أذكر أننا كنا نوصل الليل بالنهار لنلحق بالاحداث، ومشكلة الصوت هي الأخرى كانت تصارعنا دائماً، وأن كانت مبعثاً للطرائف في بعض الأحيان، فقد اضطررنا مرة الى مواصلة الطبع ليل نهار ولم نحس الا وواحدة من الجيران تدخل علينا لتسأل: "شلون الولد ظل بالي يمه عليه.. هاي ليلتين أسمع حس الكاروك"، وأدركنا في الحال ان صوت البكرات اللعينة قد خاننا، وهكذا حرمنا من العمل الليلي أيضاً.

والعقبة الكاداء التي ظلت تواجهنا دائماً هي الحجم، كانت تتملكنا الرغبة في أن نرى جريدتنا أكبر حجماً فصممنا على تكبيرها وكلفتنا التجربة الأولى انكسار آلة وتوقف الطبع لأيام، ولكننا عاودنا التجربة وصنعنا نموذجاً من الخشب وأمضينا شهرين أو ثلاثة بين هذا (التورنجي) وذاك، نبرد من هنا وندق من هناك ولكن "المحروسة" أضربت عن العمل وجاءنا الفرج من الحزب وكانت هه المطبعة الجديدة أكبر حجماً وأسرع ورأينا إكراماً لعينيها ان نسميها (الغزيلة) ولكن حتى هذه (الغزيلة) غدت مع الأيام لا تشبع لنا رغبة فلجانا الى اصطناع الحيلة واستطعنا ان نطبع أحد مناشير الحزب بثلاثة أضعاف الحجم الاعتيادي وصح ما توقعناه فقد نزل نزول الصاعقة على جواسيس نوري السعيد، ولكن الجماهير استقبله بفرح كبير.

ومضت الشهور وكل شيء يجري بشكل حسن آلاف المنشورات نطبع كل يوم، كنا لا نوقف الماكنة حتى ولا لفترة الأكل فقد أزداد الطلب على مطبوعاتنا وكان جيراننا الطيبون قد أطمأنوا لنا وتحول هذا مع الزمن الى حنو وعطف حتى انهم كانوا يصرون علينا ان يغسلوا لنا ملابسنا، لكننا فوجئنا يوماً باعتقال بعض الرفاق، فصار لزاماً ان ننقل المطبعة فشرعنا مع سكون الليل نفكك (الغزيلة) ونحزم ادواتها من دون ادنى صوت وأحرقنا أكداساً من الورق الذي لم ينته طبعه بعد، ومع الفجر أنسللنا من البيت وفي قلوبنا حسرة وداع الجيران.

وفي عام ١٩٥٤ وكانت مياه دجلة قد طغت على ما يحيط بغداد وكنا قد شرعنا في الطبع، دارت الآلات يوم.. يومين.. ثلاثة وتذكرت ان رفيقاً لنا لم يعد من مهمة حزبية فتصاعد الدم الى رأسي ولم يكن ثمة أسئلة كثيرة تتبادر الى الذهن في حالات كهذه، لابد ان سراديب بهجت العطية قد استضافته فحزمنا أمورنا وكان انتقالاً جديداً وكان حلف انقرة كراجي يكاد يطبق على بغداد وكان المستعمرون قد زجوا الى الميدان بكل ما يمتلكون، وكان شعبنا البطل يتأكل الغيض فصار إلزاماً ان نصدر عدداً جديداً قبل ان ننتهي من نصب الماكنة فلجأنا الى (الرونيو) فصح ما توقعناه فقد بدأ اليوم الوجوم على الوجوه لابد ان المطبعة قد أغرقتها المياه خلف السدة.. وراح بعضهم يخفف الوقع، أنها في بعقوبة وقد انقطعت عن بغداد وسرت العدوى الى زبانية التحقيقات فراحوا يشمتون ولكننا عزمنا ان نفوت عليهم فرصة الشماتة وكذلك كان الحال، وكانت اعقد مشاكلنا التي رافقتنا طوال العهد السري هي كيف نفي بمتطلبات النشر المتزايدة، هذه مسودة مقال عن اجتماع انقرة ومؤامرات حلف بغداد وآخر عن نشاط زمرة انتهازية، الموضوعان هامان ولكنهما سيحتلان صفحتين ونصف واتناول الثالثة فإذا هي رسالة من عمال سد دوكان ورابعة من فلاحي المدحتية وتتكاثر الرسائل كلها مؤثرة وتعكس واقع الشعب المر ونضالاته ونختصر ونضيق بين السطور ونستخدم ورقاً سميكاً بدل فواصل الرصاص، ولكننا نضطر الى تأجيل هذا الخبر أو تلك المقالة وفي قلوبنا مرارة الأسى.

مصاعب كثيرة وظروف قاسية ولكننا ننظر الى الغد المشرق باسمين.. لابد ان نطبع "اتحاد الشعب" بأكبر مطابع بغداد وها هي اليوم وبعد عام وبعض العام من الثورة المجيدة تطبع في أكبر مطابع بغداد فهنيئاً لكم أيها الرفاق وهنيئاً للشعب الذي لم تستطع قوى الظلام ان نحجب عنه الحقيقة.

"عامل مطبعة"

والعقبة الكاداء التي ظلت تواجهنا دائماً هي الحجم، كانت تتملكنا الرغبة في أن نرى جريدتنا أكبر حجماً فصممنا على تكبيرها وكلفتنا التجربة الأولى انكسار آلة وتوقف الطبع لأيام، ولكننا عاودنا التجربة وصنعنا نموذجاً من الخشب وأمضينا شهرين أو ثلاثة بين هذا (التورنجي) وذاك، نبرد من هنا وندق من هناك ولكن "المحروسة"

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

الشهيد عبد الجبار وهبى واحد من أبناء الحزب

نظيمة وهبى

في عام ١٩٢٠ وفي محلة المشراق بالبصرة، ولد عبد الجبار وهبى أبن عمي وزوجي فيما بعد، وفي مسقط رأسه أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة، وفي الاعدادية حصل على معدلات أهلته لبعثة دراسية حكومية الى انكلترا واستعداداً للسفر انكب على دراسة اللغة الإنكليزية في معهد اللغات ببغداد، الا ان ظروف الحرب العالمية الثانية حالت من دون سفره لإنكلترا وأرسل الى الجامعة الأمريكية ببيروت لإكمال دراسته العالية- فرع الفيزياء، وأثناء ذلك أتجه لدراسة الفلسفة التي شغف بها وكان يدفع من جيبه أجور محاضراتها، وبعد الانتهاء قدم بحثاً في فلسفة سقراط.

بعد إكمال دراسته عاد الى الوطن وعين مدرساً للفيزياء في إعدادية بعقوبة ثم أستاذاً في كلية الملك فيصل حتى قيام وثبة كانون الثاني عام ١٩٤٨.

لقد أنغمر "أبو سعيد" في العلم السياسي منذ عودته، وفي عام ١٩٤٦ كان أحد أعضاء الهيئة المؤسسة لحزب الشعب وكان يحرر في جريدة (الوطن) جريدة (حزب الشعب).

ان فترة ما بعد الوثبة وما رأفقها من هجوم رجعي أستهدف نصف مكتبات الجماهير وأنزال ضربة موجعة بالحركة الوطنية وبالأساس الحزب الشيوعي العراقي وتنظيماته وكوادره.

ان ذلك كله ساعد على بلورة وأنضاج الوعي السياسي والطبقي عند "أبو سعيد" فالتحق على الأثر بصفوف الحزب الشيوعي، اعتقل "أبو سعيد" لأول مرة عام ١٩٥١ مع مجموعة من المناضلين واعتقل مرة أخرى لمساهمته في تشيع جنازة نعمان محمد صالح.

وكما هو معروف فإن فترة الخمسينيات أشرت تنامي حركة السلم وتصاعد نشاطاتها وقد أسهم الشهيد بدور مرموق في حركة السلم وأصدر كتاباً بعنوان (السلام العالمي) ولمشاركته النشيطة في انتفاضة تشرين المجيدة عام ١٩٥٢ فقد أصدر المجلس العرفي حكماً عليه بالسجن لمدة ثلاثة سنوات، الا ان هذا الحكم كان غيابياً ثم أنخرط نهائياً في العمل السري ثم غادر الوطن سراً مع طفليه الى بيروت، وبعد عام التحقت به بعد ان أنهيت سنة في السجن بسبب أصدار كراس (أغاني السلم والحرية) وهنالك عمل "أبو سعيد" بنشاط في التهيئة والإعداد لمهرجان وارثو عام ١٩٥٥ وشارك فيه أيضاً، بعدها انتقل الى سوريا واشتغل بالتعليم في دير الزور وفي موقعه الجديد استطاع ان يواصل تقديم خدماته للحزب وخصوصاً في مجال استقبال القادمين والعائدين من العراق وتسهيل مهماتهم في الخارج، وكثيراً ما يرافق العائدين في ظروف شاقة وبالغة الصعوبة الى داخل حدود الوطن، وكان ذلك يزيده حنيناً للعودة.

في تلك الفترة أصدر كتاب (من أعماق السجون) ووقعه باسم محمد راشد، ثم انتدب في أوائل عام ١٩٥٨ لعضوية الوفد العراقي الذي ترأسه الأستاذ عزيز شريف الى مؤتمر نزع السلاح والتعاون الدولي الذي كان من المقرر عقده في ستوكهولم في ١٦/تموز/١٩٥٨ وكان برفقته الدكتور صفاء الحافظ والشاعر كاظم جواد وغيرهم، وقبل سفرهم بساعات حدثت الثورة المجيدة فعاد الجميع بعد اختتام المؤتمر الى بغداد بعد غيبة طويلة.

ولقد كان الرفيق الشهيد "أبو سعيد" من أوائل المحررين الذين عملوا في (اتحاد الشعب) واعتاد الناس يومها على قراءة كلمة اليوم التي حذق "أبو سعيد" في كتابتها واختيار موضوعاتها فتناول مشاكل الجماهير السياسية والاقتصادية والاجتماعية بروح النقد الساخر والبارع في تأشير الحلول الملائمة لها، الأمر الذي اكسبها شعبية واسعة لدى الجماهير القراء واستمر بكتابتها لحين إغلاق (اتحاد الشعب) وهنا بدأت مرحلة أخرى، حيث تعرض ككل المناضلين لمزيد من الملاحقات والتضييق والتعسف لحين اعتقاله وإيداعه في سجن الرمادي حيث نقل بعدها الى سجن بغداد وأودع في زنزانة الأعدام طيلة شهرين ثم أرسل الى معتقل سرية حراسة الخيالة، وبعد ان أطلق سراحه نقل الى التعليم خارج بغداد.

ان الشهيد عبد الجبار وهبى كواحد من أبناء الحزب الذين وهبوا حياتهم للدفاع عن قضية الحزب التي هي قضية الطبقة العاملة وقضية مجموع الشعب الكادح، كان يمتلك الكثير من المواهب والقدرات النافعة والمثمرة فالى جانب عضويته في نقابة المعلمين كان عضواً في اتحاد الأدباء وعضواً في نقابة الصحفيين وعضواً مرموقاً في حركة السلم في العراق، وأنا أرجو ان أشهد ذلك اليوم الذي تبادر فيه هذه المنظمات في أعطاء عبد الجبار وهبى حقه وفاءً لما قدمه لشعبه ولوطنه.

جريدة الفكر الجديد
١٩٧٨

ابو سعيد . . .صحفيُ من طراز جديد

ثائشتي

الذاكرةُ...كائن هلامي يلتهمُ كل الأحداث،ويخزنها في تجاعيد انحناءته، كي تورقَ ثانيةً، أو تختبئ إلى زمنٍ لا يعرف فيه المرء ،غير انتشاء أحزانه ،أو ربماً تتجاوز حدود الفرح،فتصبح شعارا يردده منْ لمْ يكنْ مولودا حينذاك،عندها تتألق في العيون شمسُ الأمل،وتزهر بين الحناجر أغنية للتفاؤل.

والذاكرة...ذاكرتك أنت أبن المدينة الجنوبية، يوم كنت تقف في عز الظهيرة،تنتظر السيارة التي تحمل لكم طريق الشعب،وقبلها الفكر الجديد،كي تقرأ عمود (أبو كَاطع)

لأنك كنت ولازلت مولعا،بما يلامس شغاف القلب،وهو جوابك للرفيق الذي كان يقول ،عندما تتأخر الجريدة عن الوصول، (اليوم البنات ينامن بلايه غطه)،ولكنه يستدرك معك القول بسؤال توضيحي (جا شلون لو جنت تقره عمود أبو سعيد بإتحاد الشعب)

الذاكرة...وذاكرتك حين تأخذك إلى زواياها ،يروي لك رفيقك هذا،(المعلم الذي سحبت يده من التعليم فعمل إسكافيا،) قصة سارق الأكفان(التي كتبها أبو سعيد في أحد أعمدته) وملخصها ضجرت الناس من الشخص الذي يقوم بدفن الموتى،وعندما مات فرحوا كثيرا، لأنه كان يسرق أكفان الموتى،عندها جاء خلفا له أبنه وهو على علم بشتائم الناس لأبيه، لهذا قرر أن يجعل الناس تترحم على أبيه، فأخذ يسرق الكفن ويدق قازوقا في مؤخرة الميت.

والذاكرة...ذاكرتك حين تأخذك إلى زواياها،ويروي الفنان يوسف العاني حادثة عندما سأله أبو سعيد عن إمكانياته في أن يكون ممثلا،ولكن يوسف العاني أخبره بعدم إمكانية صلاحيته كممثل ،مرت الأيام وجاء انقلاب شباط الأسود،يقول الفنان يوسف العاني:

وبينما كنت أسير في رأس القرية ،ألح بائع (بذور الرقي) في أن أشتري منه،وكنت أرفض في كل مرة،ولكنه كان يتابعني(حب عيني... حب ركَي)،وإذ زجرته بقسوة،ابتسم لي وقال (ها أنه أصلح للتمثيل)

الذاكرة...ذاكرتك تأخذك إلى قصائد النواب ،وهو يصوغ علاقته،بموعد ثابت مع أبو سعيد في كل عام،ولكن عام ١٩٦٣ يختلف في انتمائه فيكتب:

(عودتني ،أنتظر وأرسم عله الأيام موعد،
كَتلي من يعتك جرح ..جرحين،
يتلاكه وجعهه،
وعودتني أترك أبيتك
بطاقة عيد وموعد
وأكتب ببابك إذا مسافر جلمتين
ولكيتك سافرت من غير رجعه
وعودتني)

ذاكرتك... ذاكرة الزمن المر، ولكنه سيغدو عسلا ، حين يحتفي الصحفيون، والشيوعيون في مقدمتهم، بالعيد التسعين لميلاد كاتب أجمل عمود صحفي ، أنه أبو سعيد ..ذلك الصحفي الذي هو حقا من طراز جديد.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1733)
السنة السابعة
الخميس (25)
شباط 2010

ابو سعيد ومذكرات السجون

محمد علي الشبيبي

في سفرتي الوحيدة للعراق قبل أشهر، عثرت بين أوراق الوالد على بعض الصور الفوتوغرافية النادرة. كان من بينها صور لشقيقه الشهيد حسين الشبيبي (صارم)، وزكي محمد بسيم (حازم)، وصور جماعية لمعتقلين شيوعيين وديمقراطيين أخذت عام ١٩٤٨ في الموقف العام تجمع بعض قادة الحزب الذين أعدموا وشخصيات وطنية وشيوعية أستشهدوا على أيدي فاشست حزب البعث وأيتامه. صور نادرة لم يسبق أن نشرت، وأعتقد أن نشر هذه الصور في هذه الظروف ضرورة يقتضيها الوفاء لكل شهداء الحركة الوطنية والشيوعية وخاصة لقيادات الحزب الشيوعي التي وضعت اللبنات الأولى في بناء الحزب. حيث الظروف القاسية والأهمال وعدم الأهتمام في جمع تراث قادة الحزب وشهدائه أدى الى فقداننا حتى لصورهم، حتى أصبحنا لانملك من صورهم إلا مستنسخات أفقدها كثرة الأستنساخ قيمتها.

ربما تكون الدعوة من على موقعكم الموقر حافزاً، لجميع الطيبين ممن تتوفر لديهم صور نادرة شخصية أو في السجون لبعض قادة الحزب ممن ضحوا في حياتهم من أجل أن يواصل الآخرون المسيرة الشاقة والطويلة، ليرسلوا وينشروا كل ماتوفر لديهم من صور وكتابات نادرة تخلد وتحيي ذكرى شهداء الحزب للحفاظ على تراثهم الشخصي وتراث الحركة الوطنية والحزب.

قد يتساءل البعض ويستغرب من هذه الدعوة ويستنكرها معترضاً، فربما يجد فيها أتهاماً بالأهمال لجهة أو لأشخاص. ولكن للرد أتساءل؟ كم صورة شخصية لمؤسس الحزب يوسف سلمان يوسف (فهد) نشرتها الجهات المعنية والمحبين للشهيد، فقط صورتين أوثلاثة لاَ أكثر لأنها لاتملك غيرها! وكم مخطوطة من مخطوطاته اليدوية وصلت ألينا؟ وكم من الجهد بذل رفاقه للوصول الى ذلك، وخاصة بعد ثورة ١٤ تموز؟!. ونفس الشيئ يقال عن عضو المكتب السياسي الشهيد زكي محمد بسيم (حازم). هذا الشهيد المتواضع، ماذا قدمنا له؟! لانملك إلا صورتين له؟ هل حاول الآخرون في الأتصال بعائلته أو هل نعرف من هي عائلته، شقيقه وربما له أكثر من شقيق للحصول على صوره وتحريكهم للحديث عنه؟ هل فكرنا بطريقة لجمع المعلومات عنه؟ ماكتب ونشر في صحافة الحزب عنه لايتعدى أسطر مجترة ومتكررة عنه، لاتتناسب ودوره وتضحيته! أن ماكتب عن مواقف بعض الأعضاء في الحزب (وهذا جيد)، أضعاف ماكتب عن الخالد زكي بسيم وبعض القادة!؟ ولاتبرر الظروف القاسية التي مرت بها الحركة لهذا التقصير، فقد مررنا بظروف جيدة، بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ ولم يكن قد مرّ على استشهاد قادة الحزب أكثر من عشرة أعوام، ولابد على كل من يبحث بجد وحرص أن يجد رفاق وزملاء وأصدقاء وأقارب ومعارف يتذكرونهم بألم وحسرة، وعاشوا معهم فترة النضال في السجن وخارجه، ويمكنهم أن يتحدثوا عن هؤلاء الأبطال الشهداء، فهل حقاً بذلنا جهداً مدروساً ومبرمجاً من أجل ذلك؟ وماهي النتائج؟. ولو أستعرضنا معظم شهداء الحزب القياديين لوجدنا حيفاً شمل معظمهم، وخاصة من ترك وراءه عائلة بسيطة وأقارب لاتجيد الكتابة والبحث والنشر وربما غير متحمسة لفكرهم، ولكن لو قابلناهم وتحدثنا معهم لحصلنا منهم على معلومات ليست بالبسيطة، ولكانت المعلومات وحتى الصور التي سيوفرونها لنا ومن ثم نشرها بكتابات ودراسات تعكس بعض الوفاء المتواضع لشهادتهم وتضحيتهم. ماينطبق على الشهيد زكي بسيم، ينطبق عل كثير من قادة وكوادر الحزب، كالشهداء، عبد الجبار وهبي، جمال الحيدري، محمد صالح العبلي، جورج تلو رحيم شريف والقائمة طويلة.

وبالمناسبة أثمن جهد السيدة الفاضلة ثمينة ناجي يوسف قرينة الشهيد الخالد سلام عادل وجهود زميلها (نزار زكي) في مؤلفهما الرائع (سلام عادل/سيرة مناضل) الذي يصور حياة ودور الشهيد الخالد سلام عادل وما أحتواه المؤلف من وثائق حزبية نادرة وشهادات من رفاقه. ولو لم تكن السيدة ثمينة وراء أصدار هذا الكتاب لكان حظ الشهيد سلام عادل لايختلف عن حظ مؤسسي الحزب الذين أعدموا عام ١٩٤٩، طبعاً ساعدها على ذلك توفر بعض الوثائق الحزبية التي لم تتوفر لآخرين إلا القليل منها.

طبعاً أثارني لكتابة هذه السطور ما لاحظته أثناء زيارتي لبعض مقرات الحزب في داخل الوطن، وربما هذه الظاهرة موجودة في معظم المقرات. أن أجد عشرات الصور لرفاق وأصدقاء أستشهدوا، وهذا جيد ويجب أحياء وتمجيد بطولاتهم، ولكن وللأسف لم أجد صورة بارزة للشهيد زكي بسيم أو لحسين الشبيبي؟! وعندما تساءلت ... كان العذر غريب وغير لائق! لاتوجد لدينا صور لهم؟! حتى في أحتفالاتنا في الخارج في يوم الشهيد، أو في ذكرى تأسيس الحزب، أذا لم يحمل قريب للشهيد صورته لوضعها بين الصور فلا وجود لصورته! وكأنما هذه مهمة عائلته وليست مهمة الحزب الذي ضحى من أجله! وحتى الصور التي نشرت على المواقع الأكترونية والتي يتم فيها أستعراض شهداء الحزب في يوم الشهيد، كانت تفتقد لبعض الصور المتميزة لقادة الحزب الشهداء.

وشيء آخر أود التحدث عنه، وهي معاناة الحزب من حملة مسمومة قديمة حديثة، في أتهامه بمعاداة الدين، وهي حملة خبيثة تتبناها قوى ظلامية ومخالفة للحقيقة لخداع الناس البسطاء. هذه الحملة تتطلب منا نشر وأبراز دور ومواقف وصور كثير من الشخصيات الوطنية المرموقة ممن كانوا علماء دين وساهموا في الدفاع عن الحزب ومواقفه أمثال الشيخ الجليل عبد الكريم الماشطة، والخطيب الحسيني الشيخ محمد الشبيبي والد الشهيد حسين (صارم) وأعتقد ان مثل هذه الأسماء والشخصيات كثيرة ، وكان أبناؤهم في طليعة الشيوعيين بالتضحية، فلماذا لاتعرض صورهم في مقرات الحزب بطريقة تتناسب ومكانتهم الدينية والأجتماعية ليرى الناس هذه الحقيقة التي يحاول الظلاميون تشويهها في عيون أبناء الشعب.

في أحد مقرات مجلس السلم، تحدثت مع رئيس المجلس عن أهمية أبراز الوجوه الأجتماعية التي كان لها دور في حركة السلم العراقية وشهداء الحركة الوطنية. أيدني بحماس وتذمر من الأهمال في بعض المقرات لعدم نشرهم صور الشهداء والشخصيات الأجتماعية!؟ وأشار خلفه لصورة وحيدة معلقة لشاب، انه قريبه الشهيد، لم يجد مكاناً له بين شهداء مدينته في البصرة، فعلقها فوق رأسه وكانت الصورة الوحيدة في المقر؟! فهل علينا ان يحمل كل منا صورة قريبه ليضعها بين صور الشهداء؟ هؤلاء الشهداء الذين ضحوا من أجل الحزب، ووضعوا حب الحزب والحفاظ على أسراره وصيانته قبل العائلة وخصوصياتها؟ وربما بعضهم أبتعد عن أهله بسبب عدم قناعتهم بأفكاره، وأخلص لحزبه وكان وفياً لحزبه في الوقت الذي كان بعيداً عن أهله!.

جميل ورائع أن نضع نصباً للشهيد الخالد سلام عادل وهذا أقل مايمكن أن نقدمه لأحياء ذكراه المجيدة، ولكن هل وضعنا نصباً للشهيد مؤسس الحزب؟!! ألا يستحق مؤسس الحزب وتضحيته أن يكون له نصباً يتناسب ودوره في بناء الحزب؟!! هل يعقل أن لايكون لمؤسس الحزب ورفاقه نصباً يخلدهم ويتحدث عن تضحيتهم في وقت ندرت فيها التضحيات وبهذه الطريقة النادرة في العالم؟!!

أنشر هذه الصور النادرة وأنا أدعو جميع من يمتلك صورة لقادة الحزب الشهداء أو يمتلك مخطوطات نادرة لنشرها على المواقع، وسأكون ممتناً لو أرسل لي البعض هذه الصور والكتابات. كما أدعو كافة أقارب الشهداء في نشر ماتركه الشهداء (وخاصة قادة الحزب) من صور وكتابات وآثار.

في عام ١٩٧٨ نشرت طريق الشعب، أعلاناً تطلب فيه بتزويدها بنسخة مصورة لكراس (من أعماق السجون). وكنت أحتفظ بنسخة منه وبتوقيع مؤلفه الشخصي الذي أصدره بأسم مستعار في أواسط الخمسينات، ووزعه أثناء مهرجان الشباب الديمقراطي العالمي في وارشو. والكراس يتحدث ويوثق مجازر النظام الملكي الذي أقترفها في سجن بغداد المركزي وسجن الكوت، ويذكر أحداثها بدقة وأسماء الشهداء والجرحى، معتمداً على التقارير الحزبية التي كتبها الرفاق الذين عاشوا تلك المجازر. وسلمت الكراس للرفيق عبد الرزاق الصافي لأستنساخه، ونشرت طريق الشعب منه حلقة واحدة، وكشفت طريق الشعب حينها أسم مؤلفه وهو الشهيد عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) وعلى أثرها تبرعت للحزب بالكراس لأنه يحمل توقيع (ابو سعيد) الشخصي وأهدائه لصديقه البروفيسور البولوني الذي ألتقاه في مهرجان الشباب في صوفيا. كنت أعتقد أن الحزب سيحتفظ بهذا الكراس أفضل مني، ولكن للأسف ان الكراس ربما ضاع منهم ولم تنشر بقية الحلقات لتسارع الهجمة الشرسة، ولم أحصل حتى على نسختي منه؟! لذا أحب أن أذكر الأستاذ عبد الرزاق الصافي وبقية رفاقه، فربما مازلوا يحتفظون بنسخة منه لأعادة نشره.

كما أوجه دعوتي للرفاق العرب، فربما لديهم نسخة للكراس لنشره على المواقع. أن هذا أقل مايقدم لأحياء ذكرى قادة الحزب.

ودعوة أخرى أوجهها للمواقع التي يهمها تأريخ الحركة الشيوعية واليسارية، في تخصيص صفحة على مواقعها، لنشر صور الشهداء وصور المعتقلين في سجون العهود الأستبدادية، ونشر ماتوفر من مخطوطات ومستمسكات تخص الشهداء للحفاظ على تأريخ وتراث هؤلاء الأبطال!

عن موقع الطريق الالكتروني

عبد الجبار وهبي (ابو سعيد) بريشة
الفنان فيصل لعيبي

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون

التحرير : علي حسين

التصميم : نصير سليم

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

الاشراف اللغوي : يونس الخطيب